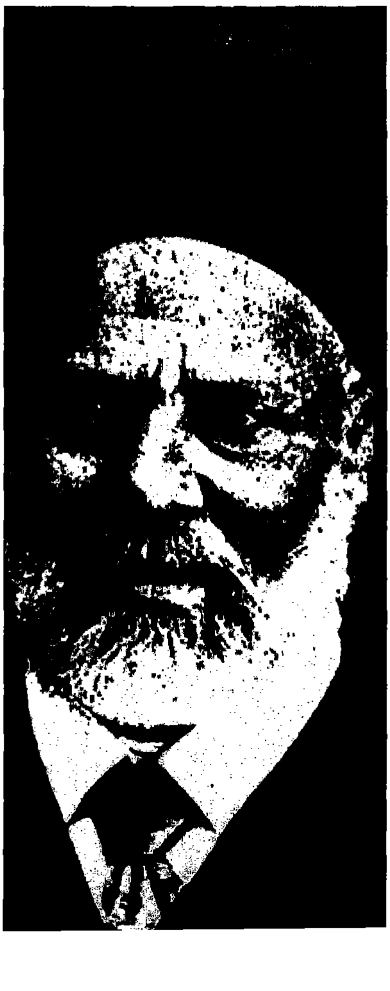
محمود صلاح

محاكمة زعيم



القصة الكاملة لمحاكمة الزعيم

الغلاف : محمد الصباغ

محاكمة زعيم

الناشــر : مكتبة مدبولى الصغير
٤٥ شـارع البطـل أحمـد عبد العزيـز
تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠
ميدان سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥
رقـم الإيـداع : ٩٣١٤/ ٩٥

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م

المدير الفنى : محمد الصباغ

خطوط الغلاف : لمعى فهيم .

المراجعة اللغوية : سيد عبد المعطى

محاكمة زعيم

أوراق القضية الأصلية لمحاكمة أحمد عرابي

محمود صلاح

الناشر : مدبولى الصغير

مقدمـــة

ربما لم يشهد تاريخ القضاء المصري مثل قضية محاكمة أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية، هذا الضابط الفلاح الذي جاء من أعماق الريف المصري ورغم انه تبوأ أكبر المناصب العسكرية حتي أصبح ناظراً للجهادية إلا أن المنصب الكبير والرتب والنياشين لم تمنعه من أن يعلن الثورة علي الخديوي من أجل كل المصريين. وأن يتصدي بكل جسارة وشجاعة لأساطيل وجيوش المحتل البريطاني.

ان وقائع محاكمة عرابي وأسرار القضية التي لم تذع من قبل. هي أشرف وسام للمواطن المصري.

ومن ناحية أخري فان تفاصيل القضية ومحضر استجواب أحمد عرابي ، وحكم اعدامه الذي استبدل بالنفي الي الابد من الاقطار المصرية ، ستظل بكل ما فيها من أسرار وتناقضات شاهدا علي تاريخ مصر العظيمة وشجاعة رجالاتها الأوفياء، وكيف حاول - ويحاول - اللصوص والمنافقون تزييف هذا التاريخ برذاذ اسود وزبد الفقاعات الهشة. لكن الثوب يبقي ناصعا رغم الرذاذ والزبد دائما يذهب هباء.

ويكفي أن تهمة أحمد عرابي كانت الخيانة العظمي لأنه أبي الاستسلام واصر علي الدفاع عن مصر ضد الانجليز.

الفصل الأول

محاكمة زعيم

١٢ شاهد إثبات
يحاولون إحكام التهمة
على عرابى

كانت محاكمة عرابي بالفعل من أغرب المحاكمات في تاريخ القضاء المصري.

لقد حوكم الزعيم أحمد عرابي أمام المحكمة الخديوية المصرية عام ١٨٨٢ وتكونت هيئة المحاكمة من رءوف باشا وإبراهيم الفريق باشا وإسماعيل كامل باشا وآخرين. أما شهود الإثبات الذين شهدوا ضد أحمد عرابي فكانوا سلطان بك وأحمد السيوفي وسعيد السماحي وآخرين.

وكان من الغريب أن يكون أعضاء هيئة المحاكمة وشهود الإثبات من المصريين أما الذين وقفوا للدفاع عن عرابي فقد كانوا من الانجليز، فقد تشكلت هيئة الدفاع عنه من مستر برودلي وريتشارد إيف ومارك نابير !

لكن الأغرب أن التهمة التي وجهت إلي عرابي قبل استجوابه كانت أنه دافع عن مصر ضد الاحتلال البريطاني، مخالفا بذلك تعليمات وأوامر الخديوي توفيق.

أشــرف تهمـة

فقد جاء في وصف التهمة التي وجهت لأحمد عرابي حسب السجلات الأصلية للقضية: أنه لما صدرت الإرادة الخديوية إلي أحمد عرابي باشا في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٩ هجرية الموافق ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ بأن الضرب علي الطوالي عن دونتمة الانجليز. ما كان الا للتهديد للدونمة باستمرار التجهيزات الحربية بالطوالي بعد صدور الأوامر بإبطالها، وأمر جناب الخديوي بأن يصرف النظر عن جمع العساكر وإبطال التجهيزات ويخطر لطرف سموه برأس التين لإعطائه التنبيهات اللازمة، فلم يمتثل وأظهر العصيان بالرد علي سموه بأن لابد من أستمرار التجهيزات ما دامت المراكب في الميناء، وفي الحال استعد للمقاومة وجدد استحكامات كفر الدوار وغيرها للمحاربة مخالفاً في ذلك للإرادة المشار إليها.

ويضيف وصف التهمة: ولم يكتف عرابي باشا بعصيانه لجناب الخديوي كما توضح، بل أرسل الأمر الصادر له بإبطال التجهيزات ويطلبه بإفادة منه لوكيل الجهادية في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ بقصد استمرار التجهيزات وحرر للمديريات وللجهات من طرفه منشوراً في نهاية ١٦ يوليو ١٨٨٢، بأمر عموم الأهالي بالمداومة علي التجهيزات، ويحذرهم من الإصغاء للأوامر الخديوية التي تصدر

إليهم بإبطال التجهيزات، وأنهم لا يتبعون إلا أوامره هو فقط.

هل هناك أشرف من هذه.. تهمة ؟

لقد رفض عرابي أوامر جناب الخديوي بعدم التعرض لأسطول الانجليز، وعصي هذه الأوامر ورفض مقابلة الخديوي، وطلب من أهالي الاسكندرية وكل سكان مصر عدم الامتثال لأوامر الخديوي.وحتي بعد انسحابه من الإسكندرية استمر أحمد عرابي في عصيانه للخديوي الذي باع نفسه وأراد بيع مصر للإنجليز، مما جعل الخديوي يصدر فرماناً بعزله من نظارة الجهادية.

فقد جاء أيضا في وصف التهمة: كما أن ذهاب عرابي إلي كفر الدوار مستصحباً العساكر، وإخلاء الاسكندرية من غير أن يصدر له أمر بذلك... وتوقيف حركة السكة الحديد وقطعه جميع المخابرات التلغرافية عن سموه ومنعه ورود البوستة لجنابه، ومنعه لرجوع المهاجرين لوطنهم الإسكندرية، واستمراره علي التجهيزات الحربية، وامتناعه عن الحضور عند طلبه، كل ذلك أوجب عزله، ولهذا قد عزله من نظارة الجهادية والبحرية فلم يذعن لهذا أيضا. بل بقي مستمراً علي تراسه علي الجيش، وعلي استدامة التجهيزات الحربية وتكليف الأهالي بالانقياد لأوامره ومخالفة أوامر الخديوي.

كل ذلك بعد رفع الراية البيضاء إشارة للسلم والدخول في المكالمة.

أمر بخلع الخديوي

وتسجل الأوراق الأصلية لمحاكمة الزعيم أحمد عرابي قبل إجراء التحقيق معه شهادات ١٢ شاهد إثبات تقدموا بشهاداتهم ضد عرابي إلي القومسيون الذي أجري استجوابه فيما بعد.

وعلي رأس شهود الإثبات الذين شهدوا ضد عرابي سلطان بك رئيس مجلس النواب الذي شهد بأن عرابي أعلن الثورة وطالب بخلع الخديوي توفيق.

تقول أوراق القضية أن سعادة سلطان بك رئيس مجلس النواب بشهادته قال إن العرابي لما حضر إلي منزله في يوم السبت ٢٧ مايو ١٨٨٢ . ومعه جملة من الضباط والعساكر.

وبعد قليل حضر نحو خمسمائة منهم وأحاطوا بالمنزل داخلاً وخارجاً بعد سقوط وزارة محمود سامي.

ويقول سلطان بك في شهادته: ثم قام عرابي خطيباً بما افتراه علي ولاة مصر السابقين وعلي الحضرة الخديوية بأمور غير لائقة، وفي اثناء خطبته هدد من كان حاضراً في المجلس من العلماء والنواب، حتي انتهي به التهور إلي المناداة بخلع سمو الخديوي، فارتفعت أصوات العساكر والضباط.

وقالوا: الخديوي مخلوع.

ثم قال عرابي مشيراً للنواب وبقية الحاضرين: من كان منكم معنا فليقف.

ثم جرد محمد بك عبيد سيفه وقال:

علي الطلاق إن من لم ينتصب واقفاً لأضربن عنقه !

يقول سلطان بك.. فلم يكترثوا ومازالوا جالسين إلا من كان من العسكرية مثل أمين بك الشمسي وفهمي أفندي عمر ومراد أفندي السعودي وأبي عبد الإله ومحمد أفندي جلال.

وطلب العرابي من النواب الختم علي المحضر الذي معه.

فأخبرته ان هذا مستحيل الوقوع، وامتنع النواب وجلس العرابي والتمس مني ومن الحاضرين طلبة باشا ويعقوب سامي باشا استرحام سمو الخديوي إعادة العرابي لوظيفته حفظا للراحة والأمن العمومي. فقمت وتوجهت للأعتاب – الخديوي – وعرضت ملتمسهم فلم يجب وفي اليوم التالي حضر التجار والعلماء ولكني امتنعت عن النزول إليهم متحججاً بالمرض ثم حضر العرابي في حالة تهور ودعاهم للتوجه للحضرة الخديوية ليلتمسوا عودته لنظارة الجهادية، فتوجهوا والتمسوا ذلك لأجل منع الخطر الذي كان متصوراً وقوعه.

والعياذ بالله

وتوالي شهود الاثبات ضد أحمد عرابي..

وكان منهم سليمان بك العيسوي الذي قدم شهادة بالمضمون المذكور وزاد فيها

أن العرابي بعد مناداته بخلع الخديوي. أمر خليل بك كامل أن يستعد بالآلايه ويحضر به إلي سراي الاسماعيلية ليلاً ويحاصرها».

وشهد محمد بك السيوفي بنفس شهادة العيسوي بك. أما مصطفي بك الهجين فقد شهد بأنه: «لما قال سلطان بك للعرابي بأن يتكفل بالأمن أجابه أنه يتكفل به لو كان ناظراً للجهادية».

وشهد «حضرة الشيخ البحراوي» بنفس المضمون.

وأضاف في شهادته: العرابي في أثناء خطبته نسب إلي سمو الخديوي، الكفر والخروج عن دين الإسلام (والعياذ بالله). أما الذين لبوا عرابي فهم أحمد محمود وإبراهيم الوكيل والسيد الفقي وأحمد عبد الغفار ومحمود بك العطار.. كما أن محمد بك عبيد جرد سيفه عليّ أنا علي وجه الخصوص وحلف اليمين أن يقتلني. أما أمين أفندي فقد أكثر في سبي وطعني بيده في جسمي.. والعرابي كان متفقاً مع من تهور من العلماء.

وبطريقته يصف أحد شهود الإثبات ذلك الموقف التاريخي الذي وقفه الزعيم أحمد عرابي ضد الخديوي توفيق في سراي عابدين.

يقول سعيد بك السماحي في شهادته: إن أحمد عرابي وعصابته جرد جملة عساكر خيالة وبيادة وطوبجية ومدافع علي سراي عابدين. وأحاط بها وتهددها وكان سمو الخديوي مع وزرائه وكثير من أمراء الحكومة ووكلاء الدول والأوربيين ووجوه القاهرة وأعيانها وأنا منهم. وكان شريف باشا قد توقف في قبول رئاسة النظار لما رآه من حالة الجهادية وتغلبهم. وأن كثيراً من النواب كانوا لايتكلمون إلا بإشارات أحمد عرابي ومحمود سامي. ولما تولي محمود سامي الرئاسة وأحمد عرابي نظارة الجهادية تصرف عرابي في عموم المصالح ولا كان يرد له فيها قول. وكان يوقع علي جميع ما يعرض إليه ويخاطب عموم الجهات. وكان رؤساء المصالح يمتثلون لأوامره.

ويروي سعيد السماحي تفاصيل الحوار الذي دار بينه وبين عرابي. عندما ذهب إليه السماحي مع وفد في مدينة الاسكندرية ويقول:

– سألت العرابي: ماذا تصنع إذا حضرت العساكر الشاهانية؟

ـ رد عرابي: أقاتلهم لأنهم مساعدون لعساكر الانجليز. وأنا أقاتل كل من ينضم إلي الانجليز حتي لو تجتمع عموم الدول.

ـ يقول السماحي: ولما تكلمت مع درويش باشا بشأن أخذه إلي الأستانة.

ـ رد عرابي: بيني وبين الضباط عهود وهم لايرضون بذلك. فضلاً عن أن الأمة المصرية لاتعرف غيري!

وشاية.. الخواجة

والطريف أن بعض شهود الإثبات كانوا من الوشاة الذين حاولوا الإيقاع بين عرابي ورفاقه!

ومن هؤلاء «المسيو يوسف شاندلر» الذي شهد بأنه «لما تكلم مع محمود باشا سامي بشأن الشائعة التي تواترت عن رغبة عرابي في سقوط وزارة محمود باشا سامي ليتولي عرابي بنفسه الرئاسة بدله».

ـ رد عليه محمود باشا سامي قائلاً: لا صحة لهذه الشائعة.. والوفاق متمكن بيننا.. وأنا أعرف مقاصد عرابي السرية!

وكان من بين شهود الإثبات «خواجه آخر». وشهادته تتحدث عن نفسها!

يقول «الخواجة موج» في شهادته: من ضمن ما أعلم أنه لما كان عرابي خارجاً في طابية الرماس سمعت حركة مقذوف خرج بالقرب من الطابية وقتل ضابطين وجملة ناس. وفي الحال أمر عرابي البوليس أن يدخلوا كافة المنازل المرفوع علي سطوحها بيارق. لتوهمه أن القاء هذا المقذوف بسبب إشارات عملت بالبلدة للمراكب الانجليزية. وتهجم أحد الضباط ومعه عشرون من عساكر البوليس علي بابي. وكان معهم أحد عساكر المتحفظين يحمل بيده فأسا ملوثة بدم مستخدم التلغراف الذي كان قد بقي بالمكتب. وفي ثاني يوم نحو الساعة التاسعة صباحاً مر طلبة باشا إلي جهة الترسانة. وفي الساعة العاشرة ابتدأ ثانياً الضرب وانتهي بعد ضرب أربع بمبات (قنابل). نظراً لرفع البيرق الأبيض. وفي هذا الوقت تم إلزام الأهالي بالمهاجرة ومن امتنع كان يجبر بالقوة. وكان عرابي واقفاً بباب شرقي. وفي الساعة الثانية ونصف بعد الظهر حضرت عساكر جهادية في شارع

باب شرقي. وبعد قليل ابتدأوا في كسر أبواب وشبابيك المحلات. ولما هجموا علي أحد المحلات وقيل لهم أن يمتنعوا عنه لأن به صندوق الحكومة. قالوا أنهم مأمورون بنهب كل شيء وقتل من يجدونه من الأوروبيين وحرق كل جهة.

ويضيف الخواجة موج: قاومت علي نفسي في محلي حتي توجهت العساكر إلي محل أخي. وكنت أسمع قرقعة أصوات الآلات الحديدية في الأبواب والشبابيك الجاري كسرها. حتي صار فتحها وتمكنوا من النهب. وفي الساعة الخامسة والنصف ضرب النفير فاجتمعت العساكر وتوجهوا جهة باب شرقي حاملين غنايمهم هم والضباط ومن يتبعهم من الأشقياء الأوباش. وبعدها نظرت لهيب البيوت التي حرقوها وأخذت في الانتشار. وما انتهي خروج العساكر إلا والنار وصلت كل الجهات.

قطع دابر الخونة

وتوالت شهادات شهود الإثبات ضد أحمد عرابي..

وكأن شهاداتهم لم تكن كافية. فقد جمع القومسيون الذي تولي التحقيق مع عرابي عدداً من التلغرافات التي اعتقدوا أنها لازمة لإحكام أركان التهمة حول عنقه.

ومنها تلغراف من عرابي إلي «بيسم بك» يقول له فيه: «أن الخديوي تواطأ مع الانجليز.. وعضده درويش باشا» مع أنه ذمته وديانته تلزمه أن ينصح الخديوي بأن يكون خلف الجيش المصري. ولكن من فعلهما يتضح أنهما متحدان مع الانجليز.

وتضمنت أوراق القضية تلغرافات أخري من أحمد عرابي ومنها..

تلغراف منه: «إلي الحارس عموم أركان حرب بالاستفهام عما إذا كان صار سد الترعة الحلوة أم لا؟ مع المبادرة بسدها حالاً».

وتلغراف آخر منه: «إلي وكيل الجهادية بمحاكمة محمد رائف بك وقطع مرتبه. لكونه تعين محافظاً للسويس من طرف الانجليز».

وتلغراف منه: «إلي محمود بك فهمي يأمره بأن يقطع السكة الحديد طريق الإسماعيلية».

وتلغراف من عرابي: «بمحاكمة علي أفندي ياور بالمجلس كونه انحاز إلي مراكب الانجليز. هو وجميع من سبق انحيازهم للإنجليز. ومن تركوا أوطانهم وأموالهم فراراً من العدو.

وتلغراف لوكيل الجهادية: «بقطع دابر حسن حسني مأمور مالية الدقهلية وشكيب بك مأمور المطرية وعلي بك وكيله. لكونهم مفسدين لمساعدتهم لأعداء الدين.

وأخيراً تلغراف من عرابي لوكيل الجهادية أيضاً.. «يبشره بما أوضحه طلبة باشا من نصرته علي العدو.. ومشاهدته علي غلبة الظن أن توفيق بك وابن ملكة الانجليز كان في وسطهم».

أما آخر شهود الإثبات ضد عرابي فقد كان سليمان بك أباظة الذي قال: لما صار إحاطة سراي الرمل بالعساكر والسواري متسلحين. أمرني جناب الخديوي بأن أتوجه مع آخرين إلي عرابي وأسأله عن سبب ذلك. فتوجهت ومن معي فوجدنا عرابي بباب شرقي مع محمود سامي وضباط وعساكر واقفين تحت السلاح. وجملة منهوبات مكومة علي الأرض وجاري الحريق فيها. وتكلمنا مع عرابي في خصوص إزالة العساكر المحاطة بالسراي.

ـ فرد عرابي: إني لا أعلم ماذا أفعل.. الأمة غير راضية عن الخديوي وخائفون من نزوله بمراكب الانجليز.

وعندما يكرر سليمان بك أباظة «الترجي» علي عرابي لرفع العساكر. يرسل معه طلبة باشا لصرف العساكر وأن يعتذر للخديوي».

كانت هذه شهادات الإثبات ضد أحمد عرابي. فماذا دار في التحقيق التاريخي معه. وكيف تم استجواب زعيم الثورة العرابية؟

الفصل الثانى

محاكمة زعيم

الجيش يحضر إلى السجن ويطلق سراح زعيمه!!

هذه حقيقة ما حدث في بيت سلطان باشا رئيس مجلس النواب يوم الأربعاء ٢٧ ذي القعدة من عام ١٢٩٩ هجرية. تم استدعاء الزعيم أحمد عرابي من سجنه لإجراء التحقيق معه.. ويكشف محضر الاستجواب التاريخي بكل وضوح وعلي لسان أحمد عرابي الكثير من أسرار الثورة العرابية.. كانت هيئة القومسيون تتكون من إسماعيل أيوب ومحمد مختار ومصطفي خلوصي وآخرين. ودار الاستجواب علي طريقة السؤال والجواب. وكانت إجابات أحمد عرابي قاطعة حازمة صريحة.

في بداية الاستجواب..

سأله رئيس القومسيون: لما تولي خديونا الأعظم مسند الحكومة المصرية.. أين كنت مستخدماً؟

ـ رد أحمد عرابي: كنت معيناً في تسليم ٧٠٠ ألف أردب غلال.

ـ رئيس القومسيون: لمن؟

ـ أحمد عرابي: من مديريات وجه قبلي لبعض التجار.

ـ رئيس القومسيون: كنت تبع أي مصلحة؟

ـ أحمد عرابي: تبع نظارة الجهادية.

ـ رئيس القومسيون: هل كنت من المستودعين؟

ـ أحمد عرابي: لم أكن من المستودعين بل كنت في آلاي وتعينت لمأمورية.

ـ رئيس القومسيون: ما كانت رتبتك؟

ـ أحمد عرابي: قائمقام.

ـ رئيس القومسيون: متي ترقيت لرتبة الميرالاي؟

ـ أحمد عرابي: في ابتداء تولية الجناب الخديوي العالي.

ـ رئيس القومسيون: وفي أي آلاي تعينت؟

ـ أحمد عرابي: تعينت في آلاي بيادة.

هذا ليس ذنباً

ويواصل رئيس القومسيون إستجواب أحمد عرابي. ويتطرق إلي واقعة ذهاب أحمد عرابي وبعض قوات الجيش إلي سراي الخديوي في عابدين.

ـ فيسأله: في ١٥ صفر عام ١٢٩٨هـ تقدم منكم عرضحال لدولتلو رياض باشا رئيس مجلس النظار في ذلك الوقت فهل تتذكره؟

ـ أحمد عرابي: نعم.

ـ رئيس القومسيون: هذا العرضحال لم يكن عليه أختام بل مقال فقط من ضبطان (ضباط) الجهادية وقدمته أنت وعلي فهمي وعبد العال.. فهل عندك توكيل من ضباط الجهادية بتقديمه؟

ـ أحمد عرابي: هذه مسألة صدر عنها عفو من الحضرة الخديوية.

ـ رئيس القومسيون: هل تعترف أن هذا ذنب حتي أن الحضرة الخديوية عفت عنه؟

ـ أحمد عرابي: لم يكن هذا ذنباً.

ـ رئيس القومسيون: نحن نسألك.. هل عندك توكيل أم لا؟

ـ أحمد عرابي: توكيلهم لي ولعبد العال باشا وعلي باشا فهمي معلوم بداهة. ولم نأخذ منهم سندات.

ـ رئيس القومسيون: قل أسماء بعض الضباط الذين وكلوكم لكي نسألهم؟

ـ أحمد عرابي: لا لزوم للسؤال منهم.. فإني لما كنت ميرالاي كانت لي كلمة نافذة علي ضباط سائر الميرالايات. وهذا دليل علي أنهم وكلوني ومؤتمنون طرفي.

ـ رئيس القومسيون: في ذلك الوقت صدر أمر من الجناب الخديوي بتوقيفكم. وتلي عليكم الأمر المذكور وامتثلتم وعلمتم منه بتشكيل مجلس عسكري مركبٌ من الجنرال استون وإبراهيم باشا فريق السواري وغيرهم للحكم فيما يختص بكم علي حسب القانون.. فهل حصل ذلك أم لا؟

ـ أحمد عرابي: تلي علينا ذلك الأمر.. ولكن يؤخذ منه أنه ليس المفروض الحكم علينا بمقتضي القانون فقط. بل يستدل منه علي موتنا أيضاً.

ـ رئيس القومسيون: الأمر الذي صدر بشأن تشكيل المجلس المذكور موجود هنا. فسنتلوه عليك وقل لنا من أين يؤخذ أن الغرض موتكم.

كان المطلوب إعدامنا

وبدأ رئيس القومسيون يتلو علي عرابي صورة الأمر العالي الصادر لنظارة الجهادية بتاريخ ٢٩ صفر ١٢٩٨ هجرية في حق كل من أحمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حشيش.

فقال: «بناء علي الأفكار الفاسدة والحركات المتوقعة من كل من أحمد بك عرابي ميرالاي ٤ بيادة وعبد العال بك حشيش ميرالاي ٦ بيادة وعلي بك فهمي ميرالاي بيادة خلافاً للقانون والنظام العسكري فقد تقرر بمجلس النظار المنعقد يوم تاريخه بسراي عابدين تحت رياستنا. توقيف الثلاثة ضباط المذكورين. وإحالتهم للمحاكمة علي مجلس عسكري تحت رياسة الجنرال إستون وأعضائه إبراهيم باشا فريق السواري ولاري باشا وبلوتز باشا ولواء خورشيد عاكف باشا ورضا باشا. ومن الضباط المتقاعدين لواء نجم الدين باشا. ولهذا أصدرنا أمرنا هذا لكم لكي تجرون حالاً توقيف الضباط الثلاثة المذكورين. مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع أدني ما يخل بالنظام العمومي. وتحت كفالتكم وبمعرفتكم يصير انتخاب وتعيين بدل الضباط الثلاثة المذكورين. وتشكيل المجلس العسكري فوق العادة ومحاكمة الضباط الثلاثة. وقد تحرر في تاريخه لجناب الجنرال إستون بما لزم في ذلك يكون معلوما.

وعندما انتهي رئيس القومسيون من تلاوة أمر الخديوي. بادر أحمد عرابي بالرد عليه.

ـ فقال لرئيس القومسيون: حيث أن الخديوي قال في ذلك الأمر أنه بناء علي الأفكار الفاسدة إقالة أحمد عرابي وعبد العال. فلابد أن كل مجلس مصري يحكم علينا بالموت. ومقال به أيضاً مع أخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع ما يخل

بالنظام العمومي تحت كفالتكم. فهذا لم يسبق له مثيل. ويستدل منه علي أن الغرض إعدامنا. هذا فضلاً عما شاهدناه فإن الأمر قاصر علي التوقيف ولم يذكر به السجن والذي حصل خلاف ذلك. فإنه أخذت منا السيوف. ووضعنا بالسجن ووقف علينا ناس بالطبنجات في أيديهم. فرؤي لنا من جميع ما ذكر أن هذه الحالة الغرض منها إعدامنا.

لم تحفظ النعمة!

ويواصل رئيس القومسيون استجواب أحمد عرابي..

ـ فيسأله: مذ كنتم في السجن حضر ١ جي آلاي وأخرجكم من الحبس وفي الغروب حضر ٦ جي آلاى حكمدارية عبد العال والآلاي حكمداريتكم كان عازماً علي الحضور أيضاً.. فهل حضورهم كان بناء علي أوامر منكم وباتفاق قبل حصول الحبس أم حضروا من تلقاء أنفسهم؟

ـ يرد أحمد عرابي قائلاً: الآلاي حكمداريتي لم يقم من محله ولم يكن عنده تنبيه بالحضور. أما الآلايان الآخران فلم أعلم بناء علي أي شيء حضرا. ولكني حيث أن الضبطان (الضباط) وكلونا بطلب العرض للمساواة والإنصاف بين أصناف العسكرية. فهم طبعاً ملاحظون أحوالنا أولاً فأول. فلما رأوا هيئة ما حصل لنا من السجن أخبروا بعضهم بعضاً وحضروا لخلوصنا.

ـ رئيس القومسيون: لكن علم من التحقيق أن آلاي علي فهمي لم يحضر إلا بناء علي تنبيه من قبل الواقعة بيوم. وآلاي عبد العال حضر في يومها بناء علي أمره بواسطة إرسال واحد إلي طرة. وأن عدم حضور الايكم هو بالنظر لعدم امتثال ألفي يوسف. وخلاف ذلك لم تتحرك باقي الآلايات.. فماذا تقول؟

ـ أحمد عرابي: هذه المسألة عرضت علي قناصل الدول في ذلك اليوم وصدر عنها عفو عمومي.

ـ رئيس القومسيون: بعد إخراجكم من السجن بقصر النيل بواسطة العساكر وحضوركم لعابدين. كنتم تعلمون جيداً إنكم معزولون في آلاياتكم. فلماذا بقيتم هناك مع العساكر. وأصررتم علي طلب عزل عثمان باشا رفقي في نظارة

الجهادية مع أنه مراراً يوعدكم جناب الخديوي بالإجابة. وينبه عليكم بالانصراف ولم تنصرفوا حتي تحصلتم علي مرغوبكم؟

ـ أحمد عرابي: هذه مسألة صدر عنها عفو من الحضرة الخديوية.

ـ يرد عليه رئيس القومسيون قائلاً: حيث أنه قيل منكم أنه صدر عن ذلك عفو من الحضرة الخديوية. وتحصلتم علي رفع ناظر الجهادية الذي كنتم متشككين منه. فكان المأمول إذن مقابلة هذه النعمة بالطاعة والانقياد التام لأوامر الحضرة الخديوية والسلوك الحسن. لكن وقع منكم ضد المأمول وقبل انقضاء سبعة أشهر علي هذا العفو. أحضرتم آلايكم وآلايات الاثنين ميرالايات الذين اشتركوا معكم في واقعة ٤ فبراير ١٨٨١ وبعض الآلايات التي أمكنكم إغراءها علي ذلك، وبطاريات الطوبجية. وأحطتم بهؤلاء العساكر سراي الجناب الخديوي بعابدين في يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١. وقبل حضوركم لتلك الجهة ببضع ساعات. حررتم للقناصل ولناظر الجهادية كل هذا التصميم الذي تجاسرتم علي إجرائه بالفعل. فما أسباب ذلك ولماذا تجاسرتم علي هذا الفعل المضاد للنظام العسكري. وبدلاً من قيامكم بأداء وظيفتكم التي هي حفظ الذات العليا. هددتموها بالأسلحة التي أعطيت لكم لأجل حفظ تلك الذات السنية. وحفظ الحكومة المصرية. وفيما بعد طلبتم من الحضرة الخديوية طلبات لم تكن من وظائفكم. وأصررتم علي عدم إعادة العساكر لمحلاتهم حتي تحصلتم علي مطلوبكم بهذه الكيفية.

لأرفع الظلم عن الأمة

وهنا يرد أحمد عرابي علي رئيس القومسيون رداً تاريخياً. لايدافع فيه عن نفسه بقدر ما يدافع عن مصر والشعب المصري.

ـ يقول عرابي: إن الأسباب التي دعت لذلك هي عدم الأخذ بالعدل والمساواة في المعاملات شأن البلاد التي لاتحكمها قوانين ولا يراعي فيها الإجراء علي مقتضاها. فلذلك اعتمد أعيان البلاد علي أبنائهم رؤساء العسكرية. وتاقت أنفسهم لتشكيل مجلس نواب بالبلاد. يحفظ لها حقوقها ويدفع عنها ما ألم بها من المظالم. حيث أنه من كان له مظلمة منهم وتلقي في مجلسه من المجالس الأهلية فلا تنتهي

ولاينظر لها بعين الاعتبار. وربما تترك بالمجلس فوق العشرين سنة حتي يموت صاحب الدعوي كمداً بظلمه. وكضياع حقوقهم المدفوعة في المقابلة التي هي عبارة عن ١٧ مليون جنيه. ولم يصر معاملتهم فيها أسوة الديانة الذين لهم حقوق علي الحكومة المصرية. وغير ذلك مما لايمكن شرحه في هذا الجواب.

ـ وأضاف عرابي قائلاً: واجتمعت إذن أفكار الناس علي أنه لا مخلص في تلك المظالم إلا بوجود مجلس نيابي يكون من شأنه حفظ الأرواح والحقوق والأموال. فأجمعوا أمرهم علي ذلك. مع سن قوانين عادلة تكفل لهم حقوقهم. وتحرر بها إعراضات وختم عليها نحو الألفين نفس من عمد وأعيان وتجار البلاد. ولخوفهم من البطش أنابوني مع إخواني الضبطان (الضباط). لكوننا أبناءهم وهم أهلونا. يضرنا ما يضرهم وينفعنا ما ينفعهم. فقاموا العساكر البيادة والطوبجية والسواري الموجودون بمصر. بدون أن يتخلف منهم أحد. وتوجهوا إلي عابدين بعد إعلام قناصل الدول بتلك الطلبات الشرعية الحقة. التي لاينكرها منصف أبداً. وكان توجههم بغاية الأدب والسكون بصفة عرض الجيش علي الحضرة الخديوية. نلتمس من حضرته العلية منح الأمة المصرية التي نحن أبناؤها ووكلاؤها في طلب تلك الطلبات الحقة. فمنحها ذلك وانصرف الكل شاكراً لجنابه العالي علي ما ذكر.. والإعراضات المقدمة من أعيان الأمة المصرية تقدمت جميعها لدولتلو شريف باشا. الذي صار تسميته بطلب الأمة رئيساً للنظار. ومع ذلك صدر عفو الخديوي أيضاً عما حصل من القصور في هذه المادة. علماً بأن تلك الطلبات جميعها هي من أقصي آمال الحضرة الخديوية وسابق التصريح بها في الدكريتو الصادر من جنابه الرفيع في أول ولايته».

ـ وهنا يسأل رئيس القومسيون سؤالاً غريباً..

ـ فيقول له: لو فرض أن الحضرة الخديوية لم تسلم في هذه الطلبات.. فماذا كان يحصل؟

ـ فيرد عليه أحمد عرابي: نحن واثقون بكرم الخديوي ووفائه بوعده السابق في أول دكريتو صدر من جنابه الكريم. كما ذكرنا في جوابنا المتقدم حيث أن ذلك كان من أقصي آماله.

ـ يقول له رئيس القومسيون: لم يوجد إذن وجه لتوجهكم بالعساكر والجبخانة معهم والإحاطة بالسراي بهذه الكيفية؟

ـ يرد عرابي قائلاً: البلاد التي لايكون بها مجلس نيابي يحفظ للأمة حقوقها في كافة أقطار الأرض يحصل فيها أكبر من ذلك. وتراق فيها كثير من الدماء وهذا لايخفي علي كل متذكر. ونحن بحمد الله لم يحصل أدني شيء يخل بالراحة بخصوص هذا الطلب. وقد قلت أن حضور العساكر ما كان، إلا بالنسبة في هيئة عرض أنفسهم. ومع ذلك فقد صدر عفو الخديوي الذي شمل ما حصل في تلك المادة من القصور.

وأنا من أبناء مصر

وهنا يحاول رئيس القومسيون أن يؤكد في استجوابه أن أحمد عرابي لم يكن نائباً عن الشعب المصري كله.

ـ فيقول له: تدعي أن الأمة أنابتك أنت والضبطان في طلب تلك الطلبات التي ذكرتها. لكن الأمة المصرية عبارة عن خمسة ملايين ولايتصور أنه صار توكيلكم أنت والضبطان من هذا القدر.. وحيث إنك تدعي أيضاً أنه تقدم إعراضات من نحو الألفي شخص من أهالي البلاد إلي دولتلو شريف باشا مباشرة. فيعلم عدم توكيلكم من طرف أحد من الأمة المصرية كما تدعون. فإن كان بيدكم والحالة هذه توكيل أبرزوه. وخصوصاً أن الأمة المصرية وأعيانها جميعاً موجودون. فبين ولو نحو عشرين من الأعيان الذين نوبوكم حتي باستجوابهم تتضح الحقيقة؟

ـ لكن عرابي يفحم رئيس القومسيون قائلاً: مهما كان تعداد أي أمة من الأمم فإنها تكون مرؤوسة برؤساء يسمونهم المشايخ والعمد. ويطلق علي هؤلاء الرؤساء لفظ الكل أعني الأمة. وعلي ذلك فرؤساء البلاد النائبون عن الأهالي هم الطالبون لتلك الطلبات. وهم الذين قدموا إعراضاتهم والتي كان أغلبها بطرفي في ذاك اليوم. ومن هؤلاء العمد والأعيان تركب مجلس النواب. والدليل علي أنهم أنابوني في طلب طلباتهم وجود نحو الألفي عمدة في ذاك اليوم.

وإلحاحهم علي دولتلو شريف باشا بقبول الرياسة عند حضوره من الإسكندرية إلي مصر. ولوثوقهم بي تراموا بأجمعهم علي أعتاب الحضرة الخديوية لبقائي في نظارة الجهادية. حين انحلت نظارة محمود باشا سامي.. أفكل هذا لايكون دليلاً علي توكيلهم إياي ووثوقهم بي علي أني ومن معي من الضبطان والعساكر جميعنا من أبناء البلاد الذين تشملهم تلك الحقوق الوطنية.

وعندما يسقط في يد رئيس القومسيون يلجأ لنفس النظرية القائلة بعدم وجوب تدخل العسكريين في السياسة.

- فيقول لعرابي: وظيفتك كانت ميرالاي جهادي وقوانين العسكرية لاتسمح لك بالتداخل في الأمور الإدارية فكيف تداخلت في ذلك وأغريت باقي الضباط الذين أتبعوك. هل الخديوي ونظاره وباقي حكامه كانوا محجوبين عن الأهالي وما كان أحد يمكنه الوصول إليهم حتي تداخلتم في أمورهم بهذه الكيفية؟

- يرد الزعيم أحمد عرابي قائلاً: قدمنا بأجوبتنا المتقدمة أن من كان له حق أو حاجة وتحال علي أي مجلس أو أي ديوان، يموت بغصته دون أن يتحصل علي شيء منها. فمن أجل ذلك ولشمولنا مع أهلينا بحقوق واحدة حصل ما تقدم. بدون أن تسقط رأس إنسان واحد. وما كنت لأغوي الناس بل كنت حافظاً نظامهم وموقفاً لحركات أفكارهم الشديدة والمتضارب بعضها لبعض. فهم الذين أناطوني لأسير بهم في منهج الاستقامة حفاظاً للنظام العام. ولولا ذلك بل لولا وجودي لما أمكن توقيف ذاك التيار المنبعث من قلوب مختلفة وأفكار متضاربة. وهذا شيء لايخفي علي كل ذي بصيرة.

ليلة أبو سلطان

ويبدو أن رئيس القومسيون لايعرف اليأس. ولايريد للاستجواب نهاية. سوي نهاية واحدة هي إدانة أحمد عرابي.

- فيقول له: في أول دفعة في واقعة يوم ٤ فبراير سنة ١٨٨١ طلبتم عزل

ناظر الجهادية وأصررتم علي ذلك بطريقة خارجة عن القانون وتحصلتم علي مقصودكم وعفا عنكم جناب الخديوي كما قيل منكم.. وفي واقعة يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ أشهرتم السلاح وأحطتم بسراي الحضرة الخديوية بالمدافع وهددتموها. وتحصلتم علي طلبات خارجة عن وظائفكم وهي إحداث مجلس النواب وسقوط وزارة دولتلو رياض باشا وما أشبه. وقلتم أن الحضرة الخديوية عفت عنكم أيضاً. فبدلاً من مقابلة هذه النعمة التي تحصلتم عليها بالشكر لم يمض نحو شهر حتي توجهتم ذات ليلة لمنزل سلطان باشا رئيس مجلس النواب في ذلك الوقت وأحضرتم ضبطان العسكرية المتعصبين معكم وهناك أمام من وجد من النواب والعلماء تلوتم خطبة بالقدح في الحضرة الخديوية وعائلته الشريفة. وختمتم خطبتكم بإعلان خلع جنابه العالي. وقلتم أن من يكون معكم في هذا الرأي يقوم واقفاً. ولما لم يرد أحد من الحاضرين القيام خلاف الضباط هددتم أنت ومحمد عبيد حال كونه شاهراً سيفه. حتي حصل من ذلك اضطراب وغاغة بمنزل سلطان باشا. واندهش أهل البلد خصوصاً وأنك أمرت وقتها أحد الضبطان الحاضرين وهو خليل كامل الميرالاي باستعداد الآلاي للهجوم علي سراي الإسماعيلية محل إقامة الحضرة الخديوية.. فهل يجوز وقوع ذلك منكم بعد توصلكم لكافة طلباتكم من الحضرة الخديوية وانغماركم بإحساناتها؟

- يسأله أحمد عرابي: أي ليلة هذه.. وفي أي تاريخ حصول ذلك.. أرجو تذكيري.

- رئيس القومسيون: في ثاني ليلة سقوط وزارة محمود سامي التي كنتم فيها بصفة ناظر الجهادية.

- يرد عرابي قائلاً: أني لم أطلب لنفسي شيئاً قط.. بل تلك الطلبات كانت علي حسب ما سبق إيضاحه. وإني دائماً محترم وحافظ للحضرة الخديوية ولم يقع مني أدني تهديد أصلاً. بل كنت كسور عظيم البنيان مانع لتلك الأفكار السريعة. وكنت أظن أن تلك خدمة لاتغيب أهميتها عن أفكار أولي العدل والإنصاف.. أما تلك الليلة المعروفة بليلة أبو سلطان فللحق أقول أنه

لما تحقق للحضرة الخديوية استقامتي وحسن خدماتي منحتني رتبة اللواء ووجهت إلي عهدتي مسند نظارة الجهادية. كل ذلك دليل علي حسن رضائه عني. إلي أن انحلت نظارة محمود سامي باشا التي كنت ضمنها. لأسباب معلومة كانت نتيجتها من المحاربة الشنعاء. وهي الاختلاف الذي وقع بين النظارية المذكورة وبين الحضرة الخديوية في قبول اللائحة المتقدمة من قنصلي إنجلترا وفرنسا وعدم قبولها بطرفنا. وكان صار طلب مجلس النواب للنظر في هذه الاختلافات وإناطته بتسويتها. ولما لم يجد ذلك نفعاً حصل الاستعفاء وكنت بمنزلي فصار طلبي بتلك الليلة إلي بيت رئيس مجلس النواب. حيث كان جميع أعضاء المجلس موجودين فيه ومنتظرين حضوري. فلم أر بدأ من التوجه إليهم.

- ويروي عرابي ما حدث في بيت سلطان باشا قائلا: توجهت إلي هناك بمفردي ولم يكن معي أحد. وبحضوري كلفوني بأن أداوم علي ملاحظة العسكرية وحفظ الراحة العمومية داخل البلد. فأجبتهم بأني أستعفيت من مسند نظارة الجهادية مع إخواني وقبل ذلك لدي الحضرة الخديوية فلا يمكنني أن ألزم نفسي بما لا يمكنني إجراؤه.

- فأجابني رئيس النواب ومن معه: إننا نحن نواب الأمة وقد كلفناك بهذه الخدمة. وإننا متوجهون إلي الحضرة الخديوية لنلتمس منها بقاءكم في نظارة الجهادية.

«ثم دار الكلام في الأسباب التي أوجبت الاستعفاء. وما كان من أمر اللائحة المتقدمة من قنصلي انجلترا وفرنسا. وما يؤول إليه أمر البلاد إذا حصل قبولها وما كانت عليه البلاد قبل ذلك. وكان جميع أعضاء مجلس النواب كارهين لأمر هذه اللائحة وكارهين للأسباب التي انبني عليها تقديمها. وأجمع أمرهم علي عدم قبول هذه اللائحة وجميعهم أعطي قوله علي ذلك. وكان من رأيهم عموماً التسليم في عزل الخديوي ولايسلمون في قبول اللائحة أبداً. واشتدت حركة الأفكار ومكث هذا التضارب الناشيء من تلك الحركة مدة تزيد عن أسبوعين إلي أن قبل سعادة راغب باشا رياسة مجلس

النظار. وصدر من الحضرة الخديوية عفو عام عن جميع ما يتعلق بهذه المسألة وما قبلها. لكثرة تشعب الأفكار والأفعال بجميع مديريات البلاد. وبناء علي هذا العفو تشكلت النظارة المذكورة. وصدر أمره الكريم بتعييني ضمنها. ثم لما كنت بدون نيشان من نياشين الافتخار أحسن عليّ بطلبه النيشان المجيدي من الدرجة الأولي من الحضرة السلطانية خصوص. وما ذلك إلا إعلان رضاء عني.. هذا هو الحق الذي حصل ولم يسبق صدور أمر لخليل كامل ولا لغيره كما ذكر وما قيل غير ذلك لا أصل له البتة.

وحان وقت الغروب

كان استجواب أحمد عرابي قد استغرق يوماً بطوله. فقرر رئيس القومسيون تأجيل استمرار التحقيق إلي اليوم التالي.

- وكتب في نهاية محضر الاستجواب: «.. ثم استصوب إعادة أحمد عرابي إلي السجن. حيث أنه قد حان وقت الغروب»!

الفصل الثالث

محاكمة زعيم

قصة حب

أنقذت عرابى ورفاقه

من السجن

عندما تناولت التحقيقات مع أحمد عرابي واقعة القبض عليه أول مرة لمحاكمته أمام مجلس عسكري وحضور قوات من الجيش قامت بإطلاق سراحه ورفاقه المعتقلين، لم تتطرق هذه التحقيقات الي ملابسات الواقعة وظروفها. ولم تتضمن الأوراق الرسمية لاستجواب أحمد عرابي هذه الملابسات. ولاكيف كانت قصة حب شريفة طاهرة، بين فتاة من أسرة كريمة وأحد زعماء الثورة العرابية هو علي بك فهمي، وراء إنقاذ عرابي ورفاقه من السجن أول مرة!

وبطلة القصة المثيرة كان اسمها «بهيجة هانم» وكانت ابنه ضابط تركي كبير في الجيش المصري آنذاك هو الفريق إسماعيل باشا الجركسي.

كانت «بهيجة هانم» فتاة في حوالي العشرين من عمرها. رشيقة القوام رائعة الجمال ذات شعر أصفر كالذهب وعيون خضراء تبدو في نظرتها حقول مترامية الأطراف لانهاية لها.

وقد شاء القدر «لبهيجة هانم» أن تقع في حب «علي بك فهمي»، لكنه كان حبا عذريا ومن طرف واحد.. هو طرفها.

● ●

كانت «بهيجة هانم» وقريبتها «إقبال هانم» قد سمعتا من الجيران أن ضابط الجيش الكبير «علي بك فهمي» تعود أداء صلاة فريضة العصر في مسجد السيدة زينب. الذي تترددان عليه بين الحين والحين لزيارة مقامها الشريف. وقررت الاثنتان أن تذهبا الي مسجد السيدة زينب في أحد الأيام قبل صلاة العصر، لعل الفرصة تتاح لهما لإلقاء نظرة علي ذلك الضابط الجسور الذي يتحدث عنه الناس بالإعجاب والفخر.

وفي مقاله «الرسالة التي أنقذت عرابي ورفاقه» يروي أحمد عبد المجيد الفقي تفاصيل ماحدث في ذلك اليوم قائلا: «أمام مسجد السيدة زينب وقفت ثلاث نساء إحداهن شابة رائعة الجمال هي بهيجة هانم، والثانية أكبر منها وهي قريبتها إقبال هانم التي هي من ذوات الحسن الكامل. ومعهن جارية سوداء شابة. نشيطة الحركات في المحافظة علي سيدتيها من الزحام. مع حسن الذوق والأدب في معاملة من حولها وخاصة سيدتيها. وهي بهذه الصفات تسترعي حب كل من يراها ونظره، وكان اسمها سعيدة.

ودارت بين النسوة الثلاث مناقشة موجزة فهم منها أنهن في غاية الخوف والحرج، لأنهن جئن لمشاهدة الضابط علي بك فهمي. فهن مرتبكات أشد الارتباك بين كونهن يزرن مقام السيدة زينب. أويفضلن الانتظار خوفا من حضوره في أثناء وجودهن بالمسجد.

ودارت بينهن المناقشة حول المكان المناسب ودرجة قربه أوبعده من الباب. ثم خرجن من المناقشة كلها فجأة. حين تشير «سعيدة» في سرعة إلي قادم من بعيد قائلة:

ها هو ذا.. سيدي علي بك فهمي.. قربوا شوية عند الباب قربوا.

فقالت السيدة إقبال هانم: ليس في الإمكان أن نقترب أكثر من ذلك.

ويصل الضابط الرزين المهيب علي بك فهمي أحد أبطال الثورة العرابية بخطوات ثابتة ويخلع حذاءه في تأن وهدوء.

وتكون فرصة سانحة لبهيجة هانم لكي تملأ عينيها من محياه وحسن هيئته. ويدخل هو.

ويعدن الي المناقشة حول مكان الانتظار في أثناء خروجه، وتمر عليهن دقائق الصلاة القليلة، وكأنها ساعات من فرط الخوف والارتباك ويأخذن مكانهن. وإذا بزحام الخارجين من الصلاة يجرفهن جرفا. فيكدن يقعن لولا قوة شباب «سعيدة» البدنية وتمسكها وشدة محافظتها علي سيدتيها.

● ●

وتعود «بهيجة هانم» وقريبتها «إقبال هانم» وجاريتهما «سعيدة» إلي المنزل الذي هو في أحد الشوارع القريبة من باب اللوق، تلك المنازل القديمة الفخمة ذات الأثاث المرتب النظيف والخدم والجواري والأغوات.

وهذه السراي علي النظام التركي القديم، حيث يجد الداخل علي يمينه «السلاملك» وهو المكان المعد لاستقبال الرجال. وإلي اليسار «الحرملك» وهو المكان المعد للحريم. ومن المعروف في ذلك الحين احترام المصريين لتقاليد الحجاب احتراما كاملاً. فالنساء في عزلة تامة عن الرجال.

وهذه السراي هي سراي الفريق إسماعيل باشا الجركسي وتتجه ثلاثتهن نحو الحرملك فتستقبلهن سيدة جركسية ذات جمال ووقار وهيبة. وهي والدة «بهيجة هانم». وتبادرهن بالسؤال عن زيارتهن لمسجد السيدة زينب وكيف كانت الزيارة وهل قرأن الفاتحة. وهل دعون لوالدي بهيجة؟

فتجيب «إقبال هانم» عن كل الاسئلة بصفتها أكبر من بهيجة ابنة خالتها وصديقتها الحميمة. كما هو معروف في وسطهن العائلي منذ طفولتهما المبكرة.

ثم تنفرد بهيجة وإقبال..

وتدور بينهما المناقشات ويظهر من تلك المناقشات أن «بهيجة هانم» أحبت «علي فهمي» منذ أول نظرة شاهدته فيها وهو متجه الي السلاملك.. وكانت هي في إحدي النوافذ المطلة. ثم رأته بعد شهور في حفل زواج دعيت إليه والدتها فاستصحبتها ورأت في تلك الليلة علي فهمي داخلا مع بعض المدعوين.

● ●

وتمضي الأيام وراء الأيام.

والأسابيع تلو الأسابيع.. والشهور بعد الشهور. وتلك الفتاة الجركسية الجميلة «بهيجة هانم» تعاني من حب علي فهمي ماتعانيه. سجينة في التقاليد وراء الحجب الكثيفة التي تحول بين الفتيات بوجه خاص وبين الرجال، في عصر الحجاب المعروف. علي أمل أن تحدث مصادفة سعيدة بل تقع معجزة ويرسل علي فهمي من يخطب بهيجة من والدتها.

ولكن القدر كان يخبيء الشقاء للعاشقة الصغيرة!

يكمل أحمد عبد المجيد الفقي القصة قائلاً: ولكن بدل أن يأتي ذلك اليوم بوجهه المشرق. أتي يوم عبوس بشقائه وويله. فقد وقفت الجارية السوداء سعيدة عند أعلي سلم الحرملك ترتكن علي أحد الأعمدة في نحيب وحزن وأمل عميق من أجل سيدتها.

وهذه هي «إقبال هانم» قد وصلت..

ونزلت إليها «سعيدة» مسرعة وأخبرتها أنها علمت أن «علي بك فهمي» قد تزوج منذ أمد بعيد. وأنها ترجو «إقبال هانم» أن تنقذ سيدتها «بهيجة هانم» من هذا الحب الذي أصبح ليس وراءه أمل. وليس من الاستمرار فيه أية فائدة.

فأجابتها «إقبال هانم» بأنها لاتستطيع أن تخبر «بهيجة هانم» بهذا الخبر الذي سيكون من غير شك صدمة قاتلة لها.

فتتوسل إليها الجارية «سعيدة» بكل أنواع التوسل..

لكن إقبال هانم تصر علي الرفض!

●●

وصعدت الاثنتان معا..

تحملان حزنهما وتكتمان دموعهما.. الي أن وصلتا عند «بهيجة هانم» التي لاحظت عليهما لأول وهلة ماتخفيان من دموع وحزن.. فسألتهما في إلحاح وأصرت علي أن تعرف ماتخفيان. وأصرت الاثنتان علي الإنكار والتهرب ومحاولة إبعاد ذهنها عن هذه الأسئلة. الي ان استطردت «إقبال هانم» وبعبارات سلسة ذكرت أنها مرت بالفترة التي تمر بها «بهيجة هانم» الآن.

وقالت لها: لقد أحببت مثلك ضابطا وسيما شجاعا شريفا، ولكن القدر والقسمة ساقا الي زوجي الحالي الذى تعرفين أنت شرفه وكرم أصله. كما تعرفين أيضا أن زواجنا كان موفقا من جميع الوجوه ولله الحمد. حيث رزقنا ولدا وبنتا.. كل قلبي وكل حبي لهما الآن.

وأخيرا.. يصل الحديث الي نهايته المفجعة.

وتشترك الجارية «سعيدة» مع «إقبال هانم» في إخبار «بهيجة هانم» أن «علي بك فهمي» قد تزوج منذ أمد بعيد.

ولاحاجة لكاتب أن يصف وقع هذا الحديث من نفس بهيجة، فإن وقوع الصاعقة أهون من وقوع مثل هذا النبأ عليها.. ومن المؤسف أنه لم يصل إلي النتيجة التي كانت تريدها «إقبال هانم» والجارية «سعيدة» وإنما وصل ببهيجة الي نتيجة معكوسة تماما.

لقد زاد وجد الفتاة وزاد حبها «لعلي بك فهمي».

إنه الحب

الحب الذي لاأمل لصاحبه من ورائه.. الحب المجرد عن الغرض.

● ●

لكن.. كيف دخلت قصة الحب اليائسة هذه تاريخ الثورة العرابية؟

يكمل أحمد عبد المجيد الفقي قائلا: دبر عثمان رفقي مكيدة لإيقاع أحمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي في الفخ.. فحرر الي كل منهم خطابا رسميا بالحضور الي نظارة الحربية لترتيب الاحتفالات لزفاف الأميرة «جميلة هانم» شقيقة الخديوي توفيق.

وبالطبع عرف بالمؤامرة إسماعيل باشا الجركسي وعندما عاد الي منزله دخل علي زوجته واجما مضطرباً في تفكير عميق.. ولاحظت ابنته «بهيجة هانم» هذه الحال السيئة. ولكنها لم تجرؤ علي توجيه أي سؤال إليه.

وانتظرت حتي دخل عند والدتها التي أخذت تسأله في دهشة عن سبب ماهو فيه. وهو يداور ويحاور إلي أن تغلبت عليه. فأفضي إليها بكل ماحدث وبهيجة واقفة وراء أحد الأبواب القريبة تسمع. وهي ترتعد غيظا واضطراباً وخوفاً علي الرجل الذي أعجبت به «علي بك فهمي».

ثم عادت الي غرفتها.

وظلت في قلق وحيرة مدة طويلة.

وأخيراً عندما طلع النهار كتبت رسالة وسلمتها إلي جاريتها «سعيدة».

● ●

استيقظ «علي بك فهمي» من نومه وتوضأ وأدي فريضة الصلاة. وارتدي ملابسه وقدمت إليه زوجته الإفطار وطلب بعض أطفاله الصغار وداعبهم.

ولم يكد يغادر منزله حتي فاجأته الجارية السوداء «سعيدة» بتحية الصباح.. وتقدمت إليه مسرعة وقبلت يده.. وسلمته ورقة صغيرة.. كانت رسالة «بهيجة هانم» إليه.

وكانت سطور الرسالة تقول: «نحيط علم سيادتك أنه تقرر محاكمة سيادتك وأحمد بك عرابي وسعادة عبد العال حلمي. أمام مجلس عسكري بنظارة الحربية. ستصلكم دعوة بزفاف البرنسيسة. الدعوة كاذبة وهي للمحاكمات.

وما كاد «علي فهمي» ينتهي من قراءة الرسالة. ويلتفت حوله. حتي كانت الجارية «سعيدة» قد اختفت تماما!

ابتسم «علي فهمي» استهزاء وفرك الرسالة، وكاد أن يلقيها علي الأرض لكنه فكر قليلا ثم استبقاها في أحد جيوبه.. ومضي في طريقه.

● ●

عندما وصل «علي فهمي» إلي مكتبه بديوان الحرس. حيث كان حكمدارا لهذا الحرس في ذلك الحين.. وماكاد يجلس الي مكتبه حتي استأذن في الدخول عليه أحد ضباطه. وسلمه خطابا من نظارة الحربية ولما خرج الضابط فض الخطاب وإذا به تذكرة الدعوة لزفاف البرنسيسة أخت الخديوي!

هب «علي فهمي» واقفا في انفعال شديد..

وأخرج الرسالة التي سلمتها إليه الجارية «سعيدة» ثم عاد وقرأ الدعوة التي وصلته من نظارة الحربية. بالحضور لترتيب إجراءات حفلات زفاف الأميرة.

وأخذ يتمشي في غرفة مكتبه ذهابا وإيابا في تفكير وغيظ.. ثم عاد وجلس الي مكتبه يفكر. وهكذا ظل في قيام وجلوس ومقارنة بين الخطابين.

وأخيرا دق جرسا..

فدخل إليه أحد الجاويشية فطلب إليه استدعاء البكباشي محمد عبيد. فذهب الجاويش وبعد برهة وجيزة دخل البكباشي محمد عبيد.. وأدي التحية العسكرية. وألقي تحية الصباح ثم سأل في أدب شديد عما تم في شأن العريضة التي تسلمها رياض باشا ليرفعها إلي الخديوي.

فأمره علي فهمي بالجلوس.

وبعد أن جمع شتات أفكاره.

قال للبكباشي محمد عبيد: يخيل إلي يابكباشي عبيد أن الأمور تسير في

الطريق الذي توقعناه.. الطريق السيىء!

رد البكباشي محمد عبيد: فليكن.. ولكن كيف ياسعادة الأميرالاي؟

أخرج علي بك فهمي خطاب «بهيجة هانم» وناوله إياه، وماكاد عبيد يقرؤه حتي هب واقفاً.

ثم جلس وقال: أظن أن هذا تدبير جريء لايقوي عليه إلا مجرم جريء. وهؤلاء الجراكسة أخبث من ذلك.

أشار عليه علي فهمي بالهدوء.. ثم ناوله خطاب وزارة الحربية. فما كاد يقرؤه حتي وقف كالمجنون، وهو يقول:

مستحيل.. مستحيل لايمكن أن يتم هذا الإجرام أبدا ياسعادة الأميرالاي.

رد عليه علي فهمي: يريدون أن يذبحونا كما ذبح محمد علي المماليك حينما دعاهم الي الوليمة.

عاد محمد عبيد يردد: مستحيل.. مستحيل ولن يتمكن هؤلاء القتلة المجرمون من تنفيذ مأربهم.

أمره علي فهمي بالجلوس والهدوء والتفكير لأنه لم يبق علي تنفيذ هذه المكيدة إلا دقائق. فجلس وأخذ يجمع شتات نفسه. ويحاول السيطرة علي أعصابه بجهد شديد.

واعتمد علي بك فهمي برأسه علي يده.

وأخذ يفكر طويلا.. ثم رفع رأسه.

وقال: طبعا لن أذهب إلي نظارة الحربية. ولكن فات الوقت الذي كنا نستطيع فيه تحذير عرابي وعبد العال بك.

وقف البكباشي محمد عبيد وقال: بل ستذهب ياسعادة الأميرالاي وستجد زميليك هناك. وسألحق بكم بعد دقائق!

● ●

دهش علي فهمي من كلام محمد عبيد، الذي تابع حديثه قائلا: تفضل ياسعادة

الأميرالاي تفضل وسألحق بكم.

سأله علي فهمي في غضب: وماذا تفعل بنا.. أونفعل بك؟

قال البكباشي محمد عبيد: سيذهب معك غير حرسك الخاص الضابط نجم أفندي فإذا وجد ان الأمر صحيح يعود الي فورا ومن نظارة الحربية وثبة واحدة بجواد سريع وعلي أنا ترتيبات إنقاذكم من هؤلاء القتلة الأوغاد.

لم يقتنع علي بك فهمي بسهولة في أول الأمر.

لكنه استطاع تحت تأثير شجاعته وحماسة البكباشي عبيد.. الاطمئنان بعض الشيء الي حسن هذه الترتيبات ووجاهتها.

لكن من المحقق أنه يسير الي الموت.

ومن المشكوك فيه أن تحدث النجاة.. وماكاد يصل الي نظارة الحربية. حتي قوبل أسوأ مقابلة وأحقرها من صغار الضباط الجراكسة وجنودهم الذين أحاطوا به بمسدساتهم.. فرحين بأن الشخص الثالث وصل وعاملوه بمعاملتهم نفسها لزميليه من السب والشتم والاحتقار. الي ان دخل القاعة التي انعقد فيها المجلس العسكري المزيف لمحاكمتهم محاكمة صورية يحكم عليهم بعدها بالإعدام!

●●

وجد علي فهمي أن أحمد عرابي وعبد العال حلمي قد وصلا من دقائق قليلة.

ورأي أحمد عرابي قد صدر اليه الأمر من رئيس المجلس بأن يسلم سيفه وشارات رتبه. لكن عرابي يأبي فيأمر رئيس المجلس بإستعمال القوة.

وهنا يشير علي فهمي بعينيه الي أحمد عرابي بألا يقاوم وأن يسلم السيف والشارات. ويسلم هو سيفه وشاراته وفعل كذلك عبد العال حلمي.

ثم تلي أمر المحاكمة بسرعة.

وسيق الثوار الثلاثة بيد حقير من الجراكسة الي السجن وذهب اليهم كبار الجراكسة يشتمونهم وعلي رأسهم خسرو باشا.

وبينما كان ذلك يدور بقاعة الجلسة.

كان الضابط نجم أفندي قد عاد الي البكباشي محمد عبيد وهو يركض بجواده في دقيقة واحدة. وأخبره بما كان من اعتقال عرابي وعبد العال وعلي فهمي.

فأمر عبيد بضرب البروجي لخروج الأورطتين بالحرس الخديوي في حالة خطر سريع. فخرجتا في الحال، فجاء القائمقام خورشيد بك الذي كان يعلم بالمؤامرة فيما يظهر. وهو الوكيل الرسمي لعلي بك فهمي.

ونهي خورشيد بك البكباشي عبيد وأمر برجوع الأورطتين. لكن محمد عبيد بكل شجاعة وجرأة يتطلبها الموقف أصدر أمرا بوثاق خورشيد بك وحبسه.

ونفذ الضابط والجنود الأمر في ثوان!

وسار محمد عبيد بقواته الي نظارة الحربية بثكنات قصر النيل بالخطوة السريعة في اصطلاح الجيش.

وفاجأ المجلس العسكري والضباط والجنود الجراكسة الذين كانوا يهينون أمراء الجيش الثلاثة.. مفاجأة تاريخية مثيرة لايتخيلها كاتب روائي.

فأسرع كثير من الجراكسة وأخبروا رئيس المجلس. وسمع الأعضاء أيضا ففروا الي الأبواب الخلفية المطلة علي النيل وركبوا الزوارق بل ألقي بعضهم بنفسه في النيل.. سواء أكان يعرف العوم أم يتعلق في أحد الزوارق.

وذهب محمد عبيد يتبعه الضباط الشبان وأخرجوا الأمراء الثلاثة. فسارع عرابي في حزم وثقة الي الضباط والجنود وطلب منهم ألا يصيبوا أحداً بسوء.

ويلمح أحمد عرابي في هذا الموقف الرهيب إسماعيل باشا الجركسي. فيبادر إليه ويعانقه أمام الضباط والجنود ويقول:

هذا الباشا جركسي.. ولكن أنا أعانقه وأقبله أمامكم. لكي تعلموا أن هؤلاء الضباط إخواننا ولاذنب لهم. إنهم كانوا منفذين لأوامر من هم أعلي منهم فقط. ونحن لانريد الانتقام إنما نريد العدل والإنصاف والمساواة.. إن هذا الباشا أخي وأخوكم، حرام علينا دمه وماله وعرضه.

ثم التفت أحمد عرابي ناحية البكباشي محمد عبيد.

وقال له: يابكباشي عبيد.. «اجمع».

وهو اصطلاح عسكري معناه صدور الأوامر من الضابط الأعلي الي الجنود بالتجمع في النقطة التي يحددها.

فصدع عبيد للأمر.. وأصدر أوامره للأورطتين فانصرفتا وضباط وجنود الجراكسة لايصدقون أعينهم من أن الثورة عفت عنهم.

●●

وهكذا لم تنقذ رسالة «بهيجة هانم» زعماء الثورة العرابية الثلاثة فقط من السجن. بل انقذت دون أن تدري حياة والدها إسماعيل باشا الجركسي.

الفصل الرابع

محاكمة زعيم

عرابى ورجاله
يرددون على المصحف
قسم الثورة خلف
الشيخ محمد عبده

ويستمر استجواب الزعيم أحمد عرابي بعد إحضاره من سجنه، ويبادر رئيس القومسيون الذي يحقق معه بسؤاله لماذا لم يستجب لنصيحة «دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية» بقبول اللائحة والخروج من القطر؟

فيرد أحمد عرابي قائلا: إن اللائحة المذكورة متقدمة من جناب قنصلي إنكلتره وفرنسا، عن رأي ارتأه سلطان باشا كما هو واضح بها. ولم تكن صادرة عن تعليمات دولهما. وكان تقديمها عقب حضور المراكب الحربية الي ثغر الإسكندرية. ولما حضر الوفد العثماني تحت رئاسة دولتلو درويش باشا. ورأي البلاد المصرية في غاية الهدوء والسكون، ولم يكن بها أدني شيء يدل علي مايوجب تلك الارتباكات. كما أنه رأي الجيش المصري في غاية الطاعة والانقياد، ملازما لخدماته وواجباته العسكرية. وعرض ذلك علي الباب العالي بالآستانة، ترتب علي ذلك تشريفنا بالنيشان المجيدي. ولما أخبرني دولتلو بذلك التزمت بعرض تشكراتي تلغرافيا علي الحضرة السلطانية. وتشرفت بقبولها وإجابتي تلغرافيا بحصول الممنونية للحضرة السلطانية، مما أديناه من حسن الخدمة والطاعة والانقياد. كما حضرت جملة نياشين برسم ضباط الجيش إعلاناً عن حسن طاعته وانقياده، ولكن لم يسع الوقت لإعطاء النياشين لأربابها. لمفاجأة الضرب علي الإسكندرية. وكان دولتلو درويش باشا قد أخبرني أنه يري لزوم توجهي للآستانة تحت كنف الذات الشاهانية.

فقلت له: إني أود ذلك بل هو أعظم شيء أتمناه، ولكني لتعلق الناس بي وازدحامهم عليّ في كل وقت. بحيث أنهم لايمكنونني من تناول لوازماتي المعاشية، أخشي أن يحولوا بيني وبين ذلك. إذ لا علم لهم أني أريد السفر الي خارج القطر المصري، لما يتوقعونه مما يحيق بهم من الضرر في المستقبل، ويترتب علي ذلك حدوث فتنة داخلية، التي دائما نحاذر الوقوع فيها. وعند انتهاء الأمر وانصراف المراكب الحربية يمكن ان نحتال فى كيفية التملص من هذا الأمر ونتوجه إلي الآستانة كما ترون دولتكم.

حتي لو خُلع الخديوي

ويعود رئيس القومسيون مرة اخري لإثارة ماحدث في مجلس النواب.

فيقول لأحمد عرابي: أنتم أحضرتم مجلس النواب بالفعل للمحروسة للخلاف الذي قيل منكم أنه حاصل بينكم وبين الحضرة الخديوية.. فلماذا لم يفتح المجلس ويعرض الخلاف عليه كما صممتم من قبل؟

يرد أحمد عرابي: بحضور جميع أعضاء مجلس النواب وإخبارهم عن لزوم افتتاح المجلس رسميا للنظر فيما حصل من الخلاف وأسبابه، توجهوا للحضرة الخديوية، وطلبوا صدور أمره الكريم بافتتاحه فلم يسمح لهم. وعلي حسب فكري أنه حصل الإجماع علي التسليم في خلع الخديوي ولايمكن التسليم في قبول اللائحة، ولما استقر الرأي علي ذلك. كنت جالسا فقمت.

وقلت: من وافق علي ذلك فليقم معنا.

«فقام الكل ولم يتأخر أحد. وقام رئيس مجلس النواب ومن لزم معه من الأعضاء وتوجهوا إلي سراي الاسماعيلية في تلك الليلة نفسها. وعرضوا بقائي وإلزامي بالراحة والأمن، وفي غد تلك الليلة حضر لي سعادة رئيس المجلس وسعادة سليمان باشا أباظة وغيرهم. وسلموني إرادة خديوية ببقائي في نظارة الجهادية. فتوجهت مسرعا لتأدية التشكرات الواجبة لحضرته العلية.

يعود رئيس القومسيون ليسأله: كان رأيك إذن مع رأي من استقر رأيهم من الحاضرين علي عزل الجناب الخديوي؟

يرد أحمد عرابي قائلا: مما توضح يعلم أنه لشدة تأثير اللائحة المذكورة التي قبلها جناب الخديوي ما كان يمكن قبولها، ولو أدي ذلك لخلع الخديوي.. وأنا وكل الناس علي هذا الرأي.

لائحة إنكلترا وفرنسا

يقول له رئيس القومسيون: مذ كان محمود سامي رئيس مجلس النظار ومذ كنت أنت ناظر الجهادية.. استقر رأيكما علي طلب النواب وأحضرتموهم بالفعل بدون أمر الحضرة الخديوية.. فلماذا أجريتم ذلك مع علمكم أنه مخالف للائحة النواب؟

يرد عرابي: من مقتضي لائحة مجلس النواب أنه إذا طرأ أمر مهم في مدة غياب

مجلس النواب. فعلي مجلس النظار تدارك هذا الأمر تحت مسئوليتهم عنه. عند انعقاد المجلس في السنة التالية. ولم يكن أمراً مهماً أكبر من خلاف يقع في مسألة بين الحضرة الخديوية وبين النظار. فلتدارك هذا الأمر وعدم خروجه عن يد أهل البلاد. استقر رأي مجلس النظار علي طلب مجلس النواب، لينظر فيما حصل الخلاف فيه، أملاً في إصلاح الأمر قبل تعاظمه، وعلي ذلك جري طلب النواب.

رئيس القومسيون: اعترفت إذن بطلب النواب بدون أمر الحضرة الخديوية؟

أحمد عرابي: أوضحنا أن طلب مجلس النواب بغير أمر الحضرة الخديوية ما كان إلا اعتماداً علي قانون مجلس النواب، وعلي أن ذلك جائز في الحكومات إذا داهم البلاد أمر يخل بشأنها. ولم يكن أمر أكبر من خلاف يقع بين الحاكم وحكومته.

رئيس القومسيون: ماهو الخلاف الذي وقع بين الحضرة الخديوية وبين النظار وترتب عليه طلب النواب بمعرفتكم؟

أحمد عرابي: هو قبول الحضرة الخديوية للائحة جناب قنصلى انجلترا وفرنسا وعدم قبولها من طرف نظار حكومته.

رئيس القومسيون: ماذا كان مضمون تلك اللائحة المقدمة من الدولتين؟

أحمد عرابي: كان مضمونها سقوط النظارة وإخراجي من بلادي الي أوروبا وإخراج وتبعيد علي فهمي وعبد العال الي داخل القطر.

رئيس القومسيون: هل في معلومكم أن الجناب الخديوي قبل هذه اللائحة من قنصلي الدولتين؟

أحمد عرابي: تقدم بأجوبتي مايدل علي ذلك.

رئيس القومسيون: كان الواجب إذن قبولها مثل ما قبلها الجناب الخديوي لكونكم تحت أوامره. وهو المناط من طرف الدولة العلية بامتيازات مخصوصة. ويجري الأحكام علي حسب مايتراءي له. بدون أن يعارضه أحد في داخل حكومته، فلماذا تجاسرتم علي رد أوامره حيث انه قبلها ولاسيما أن خروجك من البلاد بإشرافك ومرتباتك ما كان يترتب عليه ضرر؟

أحمد عرابي: صحيح كان أولي خروجي إلي أوروبا وكنت أتمني ذلك. ولكن أفكار الناس وقتها وحالة البلاد كانا يمنعاني من ذلك. بل من أي شيء أريد فعله. وأما ما ذكر من لزوم موافقة النظارة للحضرة الخديوية لما لها من الامتيازات الخصوصية.. فذلك لايكون أمراً لازماً في الحكومات الثورية.

أقسمت علي المصحف

هل صحيح ماقيل أن زعماء الثورة العرابية اجتمعوا ووضعوا أياديهم فوق المصحف.. ثم رددوا قسماً خلف الشيخ محمد عبده؟

ذلك ماسيظهر خلال استجواب أحمد عرابي..

يسأله رئيس القومسيون: زعمتم أن النواب موافقون لرأيكم ولرأي باقي النظار في ذلك الوقت، فلو كان ذلك حقيقياً لأمكنهم بالاتحاد معكم فتح المجلس والنظر في أحوال البلاد بدون رخصة من الحضرة الخديوية، وحيث أنه لم يصر افتتاح المجلس بالفعل فيعلم أن النواب لم يكونوا متحدين معكم جميعهم كما قلتم؟

يسمعه أحمد عرابي رداً مفحماً بقوله: لا أظن أن أحداً من المصريين علي اختلاف مذاهبهم يسمح بحصول تدخل أجنبي في بلاده. ومن ذا يعلم لكل ذي ذوق سليم أن الأمة المصرية بأجمعها لاتسمح بذلك التدخل. ولكن مجلس النظار ارتأي أن يسلك طريقا سهلة لإزالة الخلاف وتسوية الحالة. وقد حصل فعلا ونجح في مسعاه بتشكيل نظارة راغب باشا التي صدر فيها عفو عام من الحضرة الخديوية. شاملا كل ماينسب إلي تلك المسائل. إلا مسألة إسكندرية التي حدثت يوم ١١ يونية.

يقول له رئيس القومسيون وقد أسقط في يده: مذ كان محمود باشا سامي رئيس مجلس النظار وكنت أنت ناظر الجهادية. اجتمعتم ليلا معه ومع باقي الضباط من رتبة بكباشي فما فوق في قشلاق عابدين. ووضعتم مصحفا علي ترابيزة ووضعتم ايديكم عليه. ولقنكم الشيخ محمد عبده يمينا.. فما هو هذا اليمين وما أسبابه وما هو تاريخ حلفه؟

يقول أحمد عرابي: هذه العبارة لا حقيقة لها.. وإنما دائما في كل مجتمع

يحصل فيه التذاكر بالاتفاق علي تحرير البلاد وتحسين حالتها والسعي في جلب المنافع لها ورفع المضار عنها بواسطة تنسيق قوانين عادلة تكفل لكل إنسان حقه. حتي تعيش أهل البلاد وأبناؤها في أرغد عيش مثل الأمم المتمدنة في كافة أرجاء المسكونة مع السعي في منع الأسباب التي تخل بالراحة العمومية. أوينسب للبلاد ما يشين اسمها في تاريخ العالم بل نعتبر أهل البلاد جميعها ومن فيها من أجانب إخوة في الإنسانية، لهم مالنا وعليهم ما علينا.. ولايتعرض أحد لهم بسوء تلك هي المجتمعات التي كانت تحصل وليست في تاريخ مخصوص.

رسالة الي وكيل الجهادية

يقول له رئيس القومسيون: أنت تنكر حلف هذا اليمين فإذا حضر الشيخ محمد عبده وغيره ممن كان حاضراً. وقال بحصول ذلك امامك.. فماذا تقول؟

يرد أحمد عرابي: لم يحصل إنكار شيء.. بل إن ماأوضحته بجوابي هو شامل لما كان يحصل في مجتمعاتنا مع تأكيده بالأيمان الموثوق بها علي عدم حصول الضرر لأحد من الناس.. وكان ذلك حرصا علي الراحة العامة.

وهنا يبدأ رئيس القومسيون في سؤال أحمد عرابي عن دوره في أحداث الإسكندرية ويتهمه بالتورط فيها.

فيقول له: لما حصلت واقعة يوم ١١ يونيو ١٨٨٢ وتعيين قومسيون لتحقيقها بالإسكندرية وكان من أعضائه وكيل الجهادية، وبدلا من التنبيه منكم بالتمسك بالعدل والإنصاف وعدم الميل لأي طرف كان، نبهتم وأكدتم عليه بأن يجتهد فى إبعاد الشبهة والتهمة بقدر الإمكان عن الأهالي والعساكر مع معلوميتكم ومعلومية الجميع بأن عساكر المستحفظين بالإسكندرية كان لهم مدخل كبير في هذه المقتلة، فمن تنبيهاتكم لوكيلكم يعلم أن وقوع هذه الحادثة إما أن تكون بأمركم أوبتعليماتكم؟

يرد أحمد عرابي قائلا: هذه العبارة مختلقة لا أصل لها.. ووكيل الجهادية ليس محتاجا لتعليماتي، ولايمكنه أن يساعد علي غير الحق مهما كانت الحالة. وأما ماذكر من أن يكون ذلك حصل بتعليماتي فمن أنا حتي يكون لي تعليمات بمثل

ذلك في جهة لم أحضرها ولم أشاهدها بل من تدبر كيفية سيرنا في مدة ثمانية عشر شهرا وكسور، وعلم ماحصل مني من التنبيهات والتأكيدات وإعلاني لجميع الناس علم اليقين. إني أجتهد كل الاجتهاد في حفظ الارواح والأعراض والأموال حتي لاتسفك شعرة واحدة من رأس أي إنسان كان. حرصا علي عدم تسويد صحيفة المصريين، والحق أنه لم يتنبه منا علي وكيل الجهادية بشيء أبدا. إذ هو غني عني في مثل ذلك وكان طلبه علي حين غفلة واستعجال.

وهنا يتلو رئيس القومسيون صورة التنبيه الذي يقول فيه: «جهادية وكيلي سعادتكو.. بعد السلام علي سعادتكم، تعلمون أهمية مركز سعادتكم الآن بالنسبة للجنة التحقيق.. فإنه لايخفي أن اعضاء اللجنة ليسوا جميعا ممن يهمهم شرف العسكرية والأمة. وهذا يقضي بأخذ احتياطات في سياق التحقيق.. وإظهار منشأ الحركة. فإن المتداول علي ألسنة الخاص والعام هنا، أن الفاعل لهذا الأمر رجل مالطي من تبعة الإنكليز تشاجر مع وطني وضربه بسكين. وأن جماعة من الأروام اجتمعوا للدفاع عن الوطني فتكاثر عليهم المالطية وبعض الأورباويين. وضربت عليهم النيران من الشبابيك وعظم الخطب بتعدي الأوروباويين علي أنفسهم. وإن الوطنيين الذين حضروا إنما كانوا يدافعون عن أنفسهم بالعصي، وكذلك لهجت الألسنة بأن بعض الأورباويين انتهب بعض الدكاكين ولم يكن للوطنيين يد في ذلك، فليكن اجتهادكم في الدفاع عن جانب الحكومة والأمة. وإظهار الفاعل الأصلي من الأجانب، فقد قيل بأن المالطي المتسبب كان قبل ذلك خادما في قنسلاتوه الإنكليز. وهذه أمور نقدمها لتلاحظوها ولاتقبلوا كل ما يقال في جانب الوطنيين والحكومة من غير تدقيق وبحث طويل وتحقيق. تعرفون صدقه وعدم تصنعه ولايحتالوا بجانبكم لأحد من أعضاء اللجنة. خشية أن يخدع سعادتكم أويستميلكم لأمر ظاهره الإصلاح وباطنه الإفساد. ولنا وثوق تام بأفكاركم. وإنما كتبنا هذا من باب التنبيه والإيقاف لأقوال وأفعال من معكم من رجال اللجنة، هذا مايقتضي من جهة اللجنة والتحقيق. أما ما يلزم للمراقبة العمومية، فيلزم أن تلاحظوا حركات البلد وأخبارها. وتكتبوا ماتسمعونه وماترونه. وتبادروا بإخبارنا أولا فأول عن جميع الأعمال

والاكتشافات والمنظورات والمحظورات التي ترونها مما يظهر لكم الحوادث، واعلموا أن الحزم في الأمور يرشد لحسن العاقبة، وصدق العزيمة يوصل الي المقصود.. والعاقل من احترس من صديقه قبل عدوه ورجل الحرب من لاتخدعه حيل السياسيين ولا أعمال المنافقين. والله يرشدنا وإياكم لما فيه حفظ العباد والبلاد.

الضرب علي الطوابي

فيقول أحمد عرابي بلا تردد: نعم.. صدر مني هذا الجواب الذي هو عبارة عن الأخذ بالحزم في إظهار الحقيقة والعمل بالحق وليس فيه ماينكر عليه.

يقول له رئيس القومسيون: حيث أنه صدر لك أمر من الحضرة الخديوية ومن الحضرة السلطانية بإبطال التجهيزات بالطوابي وزيادة وضع المدافع بها.. فلماذا لم تمتثل لهذه الأوامر واستمر العمل في التجهيزات حتي ان جناب الأميرال سيمور لما شاهد وضع مدافع زيادة عما كان موجودا طلب تنزيلها.. ولإصراركم في عدم الإصغاء للأوامر فشأن ذلك الضرب علي طوابي إسكندرية؟

يرد أحمد عرابي قائلا: علي حسب العادة السنوية كان جاريا ترميم بعض طوابي إسكندرية. ولما ورد تلغراف من الحضرة السلطانية الي الحضرة الخديوية بناء علي تبليغات سفير إنكلترا بالأستانة بإبطال إنشاء وتجديد استحكامات إسكندرية. إذ يعد ذلك تهديدا للمراكب الحربية الإنكليزية، وصدر أمر الحضرة الخديوية بذلك فى الحال صار إبطال الترميمات، وتعين من لزم من رجال المعية لمشاهدة إبطال العمل. ولما تحقق بطلان العمل بالترميمات كتب للأستانة بذلك من المعية، ولم يكن حصل إصرار وعدم سماع كما قيل. حتي أن الطوابي الموضحة بإفادة جناب الأميرال سيمور بأنه جاري وضع مدافع بها، قبل الضرب بيوم واحد، لم يسبق وضع مدافع علي بعضها منذ إنشائها في مدة المرحوم محمد علي باشا.. ومن ضمن ذلك طابية صالح التي لم يكن بها شيء من الأسلحة الجديدة أبدا.. وطابية باب العرب وطابية قايد بك التي هي علي بعد زائد في وسط البحر.

ويستمر التحقيق ليكشف تفاصيل ماحدث يوم هجوم الأسطول البريطاني علي الإسكندرية.

رئيس القومسيون: لغاية أي ساعة استمر الضرب من المراكب علي الطوابي في يوم ١١ يوليو ١٨٨٢.. وأين كنتم في هذا اليوم؟

أحمد عرابي: ضرب اسكندرية في يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ كان الساعة ١٢ عربي صباحا. وعليه بمقتضي قرار المجلس المشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية لم تصر مجاوبة المراكب من الطوابي.. إلا بعد إطلاق نحو الخمس عشرة طلقة.. وبعدها حصلت المجاوبة من الطوابي. واستمر الضرب من الطرفين إلي الساعة عشرة ونصف عربي من النهار وفي اثناء ذلك كنت في طابية الدماس لارتفاعها ومناظرة الجهات.

بعد رفع البيرق الأبيض

رئيس القومسيون: هل بقيتم في الطابية لغاية الساعة ١٠ حتي انتهي الضرب؟

أحمد عرابي: نعم

رئيس القومسيون: من كان قومندان العساكر بإسكندرية في أثناء واقعة ١١ يوليو ١٨٨٢؟

أحمد عرابي: كان القومندان طلبة باشا عصمت.

رئيس القومسيون: هل تعين لهذه الوظيفة بأمرك؟

أحمد عرابي: طلبة باشا كان قومندانا علي العساكر البرية الذين توجهوا من مصر إلي الإسكندرية عقب حادثة ١١ يوليو ١٨٨٢ لأجل حفظ البلد.. وحيث وجد هناك صار قومندانا علي جميع العساكر البرية وأما الطوابي فكانت تحت قومندانية إسماعيل بك صبري.

رئيس القومسيون: لما توجه للمكالمة مع جناب الأميرال سيمور بأي صفة توجه.. هل بصفة قومندان الثغر؟

أحمد عرابي: بصفته قومندان العساكر المصرية.

رئيس القومسيون: هل تعيينه بهذه الوظيفة منكم كان شفاهيا أوكتابة؟

أحمد عرابي: شفاها.

رئيس القومسيون: في أي يوم رفع العلم الأبيض من الطوابي.. هل في أول يوم الضرب أو في ثاني يوم؟

أحمد عرابي: في اليوم الثاني عند ابتداء الضرب.

رئيس القومسيون: في أي ساعة؟

أحمد عرابي: في الساعة الواحدة تقريبا.

رئيس القومسيون: وهل كان هذا بأمرك؟

أحمد عرابي: رفع البيرق الأبيض عند إطلاق مدافع من المراكب الإنجليزية، كان بناء علي قرار من مجلس النظار، وغيرهم من الذوات تحت رئاسة الحضرة الخديوية بحضور دولتلو درويش باشا رئيس الوفد العثماني.

رئيس القومسيون: أين قضيت ليلة الأربعاء؟

أحمد عرابي: في باب شرق.

رئيس القومسيون: في أودة من؟

أحمد عرابي: في أودة حكمدار الآلاي.. ولست متذكرا إن كانت أودة سليمان بك سامي أو عيد بك.

رئيس القومسيون: أين توجهتم في ثاني يوم صباحا؟

أحمد عرابي: حضر لي طلب من المعية في الساعة اثنين تقريبا، فتوجهت من باب شرق للرمل.

رئيس القومسيون: لأي شيء طُلبت؟

أحمد عرابي: طلبت لدي الحضرة الخديوية وسئلت عما إذا كان صار رفع البيارق البيضاء أولا.. وعن الضرب الذي حصل من المراكب فجاوبته أنه صار رفع البيارق المذكورة واستمر الضرب من المراكب بعد رفعها من خمس وعشرين الي ثلاثين كله.

رئيس القومسيون: هل حقيقة بعد رفع الأعلام البيضاء أطلقت خمس وعشرين كله من المراكب الانجليزية كما قيل منكم؟

أحمد عرابي: نعم.. إنما لم يكن إطلاق هذه «الكلل» من مركب واحد بالتوالي. بل من مراكب متعددة في آن واحد.

جمعت العساكر المشتتة

ويستمر الزعيم أحمد عرابي في رواية تفاصيل ماحدث في ذلك اليوم التاريخي من خلال إجاباته علي اسئلة المحقق.

يسأله رئيس القومسيون: ماهو الزمن الذي مكثتموه في الرمل؟

يرد أحمد عرابي: بقينا بالرمل الي الساعة عشرة تقريبا، حيث كان قد عقد مجلس تحت رئاسة الحضرة الخديوية عن طلبات جناب الأميرال سيمور. بخصوص تسليم ثلاث قلاع إلي العساكر الإنجليزية لاتخاذها معسكرا للجيش الانجليزي. وتلك القلاع هي طابية العجمي وطابية المكس وطابية باب العرب. وكان أرسل لجنابه حسبما تقرر من لزم صحبة طلبة باشا لابلاغ جنابه إن الفرمان الهمايوني لايرخص للحضرة الخديوية بذلك. وأنه سيعرض للحضرة السلطانية عن تلك المقترحات.

رئيس القومسيون: قيل في أجوبتكم المتقدمة أنكم توجهتم للرمل الساعة ٢ صباحا وبقيتم بها لغاية الساعة ١٠، أفلم تحضر من هناك في اثناء هذه المسافة لباب شرقي أو لجهة أخري؟

أحمد عرابي: نعم.. في منتصف تلك المسافة قبل انعقاد المجلس، كنت توجهت صحبة سعادة راغب باشا رئيس النظار بعربته إلي منزله وبعد مضي نحو ساعة أوساعة ونصف عدنا ثانية للرمل معا.

رئيس القومسيون: القصد الإفادة عما إذا كان حضرتم لباب شرقي قبل الساعة عشرة أم لا؟

أحمد عرابي: لم نحضر.

رئيس القومسيون: علم من التحقيق أنه في يوم الأربعاء حضر لطرفكم بباب شرقي سلطان باشا وسليمان باشا أباظة وشريعي باشا وياور دولتلو درويش باشا وحسين حسني بك ياور من طرف الحضرة الخديوية، وهؤلاء الذوات حضروا لكم معا بالباب المذكور، ليطلبوا منكم رفع كوردون العساكر الذي أحطتم به سراي الرمل. فحضورهم لكم في باب شرقي كان في أي ساعة؟ وماهي أسباب وضعكم الكوردون حول سراي الرمل مادام أصل الخفر المرتب للحضرة الخديوية كان موجودا هناك؟

أحمد عرابي: أظن ان حضور حضرات الذوات المذكورين كان الساعة ١١ حالة كوني مستقلا بنفسي في جمع العساكر المتشتتة بوقت خروجهم من إسكندرية، وفي الوقت المذكور الذي كنت به في الرمل كان الجناب الخديوي سألني عن عدم لزوم الأربع بلوكات البيادة الذين حضروا في ذلك اليوم لوجود الخفر الكفاية هناك. وقال إن توجهم لتأدية خدمات لازمة أولي. وحيث إنني كنت لاأعلم حقيقة الأمر، ولاماهي الأربع بلوكات المذكورة، فعند خروجي من المعية توجهت لجهة القشلاق المجاور لسراي الرمل. وطلبت الضابط الموجود مع الأربع بلوكات التي حضرت الي هناك. فأحضروا لي ضابطا أظن ان اسمه علي هشيمة من ٦ جي الآلاي.

فقلت له: ماسبب حضور العساكر الذين حضرت بهم مادام موجودا الخفر كفاية؟

قال: حضرنا بأمر حكمدار الآلاي سليمان سامي.

سألته: لأي سبب؟

قال: لاأعلم.. جئت لتقوية الخفر.

فقلت له: الخفر كفاية.. خذ العساكر وتوجه الي الآلاي.

«وكنت راكبا عربة سعادة راغب باشا.. فلما قربت من الجبانة القريبة من باب شرقي وجدت العساكر والأهالي مختلف بعضهم ببعض في ازدحام شديد خارجين جهة وابور المياه. فنزلت من العربة وصرت أتخلل الناس حتي وصلت باب شرقي. وصرت أوقف العساكر بنفسي وأمنعهم عن الخروج من الباب وأنهاهم عن ذلك، ومازلت كذلك حتي حضر الي حضرات الذوات المذكورين

وأخبروني أن العساكر منتشرة في هيئة كوردون حول السراي. ومن المقتضي رفع الكوردون فدهشت حين سمعت بهذه العبارة.. ووقتها كان حضر حضرة طلبة باشا الذي هو قومندان العساكر فنبهت عليه بسرعة التوجه لرفع ذلك والوقوف علي اسبابه وقد توجه مع من ذكروا.

المحقق: يفهم من جوابك.. أولا ان الضابط لم يصغ لأوامرك حيث أنك قلت له خذ العساكر وتوجه إلي ألايك، وبعد ذلك عمل الكوردون حول السراي.. ثانيا أن جناب الخديوي نفسه أمركم بإعادة الأربع بلوكات المذكورة وأنت بالرمل.. ومن جوابكم علم أنكم حضرتم من الرمل الي قشلاق باب شرقي ولم تصرفهم.. ثالثا اتضح من التحقيقات ومن أجوبة بعض من حضروا لك من الذوات لباب شرقي.. أنك لم ترض برفع الكوردون إلا بعد تكرار الرجاء والإلحاح ياور دولتلو درويش باشا، فمن هنا يعلم أن اصل وضع الكوردون كان بأمركم. إذ أنه مع وجودكم بصفة ناظر الجهادية ومع أن العساكر في جهة واحدة، لايتصور أن ميرالايات الآلايات أو ضباطهم يتجاسرون علي فعل أمر مهم مماثل لذلك بدون أمرك؟

وحان وقت الظهر

يرد أحمد عرابي قائلا: الأمر المهم المماثل لذلك كنت أتولاه بنفسي ولا أرتكن فيه علي غيري.. والإنسان مهما كانت قوته لايمكنه حصر وضبط أفكار جميع الناس الذين معه. خصوصا في هذا الوقت الصعب الذي كثيرا ماتذهل فيه العقول. فكيف يقال أنه لايتصور وقوع أمر من أحد حكمدارية الآلايات بدون أمر مني. مع أني لست بضابط لأفكاره وإني كما أوضحت لاأعلم أصل إرسال البلوكات ولا الغرض منه. وأنه تنبه مني علي الصاغقول أغاسي كما ذكر بإعادة البلوكات إلي محلاتها. وتركت وتوجهت لرؤية الأشغال الضرورية. واما القول بأن المخبرين لي برفع الكوردون كان مع الترجي والإلحاح فهذا لاحقيقة له. بل بمجرد أن أخبرت وتمالكت نفسي من الدهشة، حالا أرسلت معهم قومندان العساكر طلبة باشا وحتي بعد عودته وسؤاله عن الكيفية أخبرني أنه لم يجد هناك كوردون أصلا. وقيل له أنهم تفرقوا قبل وصوله.

كان الاستجواب قد استمر من الصباح حتي الظهر.. فقرر رئيس القومسيون تأجيله الي مابعد الظهر..

وسجل في نهاية التحقيق عبارة: «أعيد إلي السجن بما أنه حان وقت الظهر»!

الفصل الخامس

محاكمة زعيم

تلغرافات من أحمد عرابى للأستانة :

خديوى مصر انحاز
إلى عدو البلاد

عاد أحمد عرابي إلي سجنه عند الظهر في انتظار استدعاء القومسيون له ليستكمل التحقيق معه.

وفي زنزانته جلس الزعيم الكبير يسترد أنفاسه.. وتتوارد في خياله الأحداث الجسام التي عاشها سراعاً.

لم يكن أحمد عرابي في هذا الموقف يأسي علي نفسه، بقدر ماكان يأسف لما أصاب وطنه، أما عن نفسه فلم يشعر بالخوف أوالتخاذل لحظة واحدة، رغم كل ماأحاط به من مؤامرات دنيئة.

واسترجع في مخيلته مؤامرة الحكومة العثمانية لإبعاده عن مصر. وخديعة دولتلو درويش باشا لتنفيذها والتي لم تنطل عليه.

مع الخديوي.. وعرابي

كان الخديوي توفيق قد حاول في بداية الأزمة أن يستعين بالدولة العثمانية لضرب الثورة العرابية وهناك مراسلات تثبت ذلك دارت بين الخديوي توفيق و«الباب العالي» بالآستانة مثل «رسالة الخديوي إلي ثابت باشا قبوكتخدا الحضرة الخديوية بالآستانة» التي طالب فيها بإرسال «قوة عسكرية» يبلغ مقدارها عشرين طابورا علي جناح السرعة علي أن تكون قيادتها العامة منوطة به.

لكن السلطان العثماني تردد في تنفيذ طلب الخديوي خوفا من الصدام مع الدول الأوروبية. كما أن مشايخ الآستانة اقنعوه بأن «إرسال عساكر مسلمين لقتال إخوانهم المسلمين يضر بالخلافة».

وقرر السلطان أن يرسل بدلا من الجيوش وفدا يرأسه مصطفي درويش باشا أحد رجال الحاشية السلطانية ويتكون من ثلاثين شخصا.

ووصل درويش باشا إلي مصر علي ظهر اليخت السلطاني «عز الدين» وأرسل له أحمد عرابي يعقوب سامي باشا وكيل نظارة الجهادية لاستقباله.. ومن ناحية أرسل له الخديوي توفيق وفدا لاستقباله.

وكانت تعليمات السلطان لدولتلو درويش باشا أن يتظاهر لكل من الخديوي وعرابي بأن السلطان معه. لكن الخديوي توفيق منح درويش باشا رشوة قيمتها

خمسون ألف جنيه ـ وهدايا قيمتها خمسة وعشرون الف جنيه.. فأعلن انضمامه لجانب الخديوي.

وفكر درويش باشا في خدعة للتخلص من الزعيم أحمد عرابي. وبعد ان منحه النيشان المجيدي من الطبقة الأولي طلب منه أن يسافر إلي الآستانة ليشكر السلطان علي الوسام وأن يترك له ديوان الجهادية!

لكن أحمد عرابي فطن إلي الخدعة ورفض. ولم ييأس درويش باشا فأعطي أوامره السرية لقبطان اليخت التركي «عز الدين» بالاستعداد للرحيل إلي استانبول ثم ذهب إلي عرابي وأظهر له وده وطلب منه زيارة السفن المصرية الراسية في الميناء وكذلك اليخت التركي!

وللمرة الثانية يفطن أحمد عرابي إلي خدعة درويش باشا فيرفض.

ويقول له: أنا ضابط مشاة.. ولا شأن لي بالبحر!

كوردون حول السراي

دارت هذه الأفكار وغيرها في مخيلة زعيم الثورة العرابية وهو جالس في محبسه.. فمضي الوقت حتي فتح الحراس باب الزنزانة ليعيدوه إلي المجلس العسكري ليواصل القومسيون التحقيق معه.

وتكشف إجابات أحمد عرابي عن حقيقة ماحدث يوم هجوم الاسطول البريطاني علي الإسكندرية.

يسأله رئيس القومسيون: أنت تدعي أن وضع الكوردون العسكري حول سراي الخديوي كان بغير أمرك. بل بأمر سليمان سامي. أفلم تبحث أسباب وضعه، وماذا أجريت مع سليمان سامي بالنظر لوضعه الكوردون المذكور من تلقاء نفسه؟

يرد أحمد عرابي: قلت فيما تقدم أن الصاغقول أجاب بأنه محضر لتقوية الخفر. وبحضور سليمان سامي من تجمع العساكر في كفر الدوار أفاد بأن إرسال العساكر كان لتقوية الخفر ولأن كثرة أشغال المدافعة شغلنا جدا فلم يحصل تحقيق في كيفية إرسال العساكر بغير إذن وبالضرورة عند انتهاء المحاربات تجري

المحاكمات مع من تقتضي محاكمته.

رئيس القومسيون: من أجوبتك السابقة علم أنك حضرت من الرمل في الساعة عشرة لباب شرقي وذكرت أن العساكر وقتها كانوا مزدحمين وخارجين من باب شرقي.. فهل ترك العساكر محلاتهم.. وهل كان خروجهم من البلد بأمرك أوبأمر من؟

أحمد عرابي: من أجوبتي المتقدمة يعلم أنه بحضوري من الرمل، وجدت العساكر خارجين من إسكندرية إلي جهة وابور المياه. وعندما حضرت إلي باب شرقي كنت أمنع العساكر بنفسي من الخروج. ومن ذلك يعلم ان العساكر تركوا إسكندرية بصورة هزيمة. وفي الحقيقة أن قشلاق رأس التين هدمت محال كثيرة منه. التي يمكنها من هذا المكان الضرب علي قشلاق باب شرقي بأكمله ويمكنها قطع خط الرجعة أيضا. ولم يمكنني توقيف حركة العساكر فتوجهت خلف العساكر المنهزمين. كي أصل إلي مقدمتهم وأتخذ لهم موقعا مناسبا لتجميعهم. وأسرعت في السير حتي وصلت إلي كوبري حجر النواتية الكائن علي المحمودية. وكان وصولي هناك الساعة ثلاثة ليلا تقريبا.

من حرق الإسكندرية؟

يسأله رئيس القومسيون: هل بقي معك سليمان سامي مع عساكره. بعد حصول المكالمة بينك وبينه في شأن حرق البلد في الساعة ١١ ولازمك لحد حجر النواتية أم رجع للبلد؟

أحمد عرابي: بعد أن علم عدم إمكان توقيف حركة العساكر. وكان من الضروري جمع العساكر في محل يأمنون فيه. خرجت بمفردي مسرعاً لأتخذ لهم محلا مناسبا كما ذكرت قبلا. والعساكر الذين أمكنني تجميعهم خرجوا مع ضباطهم وسليمان بك سامي حضر إلي حجر النواتية بمن معه من العساكر في الساعة سبعة ليلاً تقريباً.

رئيس القومسيون: هل سليمان سامي هو الذي تأخر بالآية فقط ولم يحضر إلا متأخرا.. أوكافة عساكر الآلايات أيضا؟

أحمد عرابي: العساكر الذين أمكن تجمعهم في باب شرقي حضروا مع ضباطهم في الوقت الذي حضر فيه سليمان بك سامي. وماذلك إلا لكثرة ازدحام الطريق بالأهالي والعساكر والعربات وصعوبة المرور.

رئيس القومسيون: ألم يبلغك ان سليمان سعي بعساكره وحرقوا إسكندرية؟

أحمد عرابي: سبق الإجابة عن ذلك.

رئيس القومسيون: إجابتكم السابقة كانت عن بلاغكم عن سليمان سامي علي حرق البلد.. والآن هذا السؤال هو لمعرفة ما إذا كان قد بلغك أن سليمان سامي وعساكره حرقوا البلد بالفعل أم لا؟

أحمد عرابي: لم يبلغني أن سليمان سامي هو الحارق للإسكندرية حقيقة.

رئيس القومسيون: حرق الإسكندرية لاينكر.. فمن حرقها؟

أحمد عرابي: محافظ البلد وضبطيتها يعلمون حقيقة الحرق.. وإن كنت أظن أن حرقها ناشيء عن مقذوفات المراكب كما حصل بسراي رأس التين.. وغير ذلك لم يبلغني شيء.

رئيس القومسيون: قيل في جوابك أنك كنت تظن.. والآن من هو الذي حرق البلد علي حسب ظنك؟

أحمد عرابي: كنت أظن ولاأزال أظن ذلك، حيث أني لاأعلم حقيقة.. لأني ماكنت بداخل البلد.

رئيس القومسيون: لما كنت في باب شرقي.. هل كان محمود سامي هناك أم لا؟ وان كان هناك فهل حضوره كان بناء علي طلبكم أم من تلقاء نفسه وماذا فعل؟ وألم يخبركم بشيء من جهة الحريق؟

أحمد عرابي: وقت حضوري من الرمل وجدت محمود باشا سامي. وسألته عن اسباب حضوره فقال: «حضرت حين بلغني مسألة الضرب علي إسكندرية لأنظر الحالة» فتركته واشتغلت بجمع العساكر. ولم أكن متذكرا أنه قال لي شيئا عن الحريق.

الخديو انحاز للإنكليز

يقول له رئيس القومسيون: بعد انسحابكم من إسكندرية وتوجهكم لجهة كنج عثمان في أواخر شعبان. صدرت لكم إرادة سنية هاهي صورتها منسوخة.

وأخذ رئيس القومسيون يتلو علي مسامع أحمد عرابي الأمر الذي أصدره اليه الخديوي توفيق ويقول فيه: اعلموا أن ماحصل من ضرب المدافع من الدونتمة الإنكليزية علي طوابي إسكندرية وتخريبها. إنما كان السبب فيه استمرار الأعمال التي كانت جارية بالطوابي وتركيب المدافع التي كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير إخفاؤها وإنكارها. والآن قد حصلت المكالمة مع الأميرال فأفاد بأنه ليس للدولة الإنكليزية مع الحكومة الخديوية أدني خصومة ولاعداوة. وأن ماحصل إنما هو في مقابل ماكان من التهديد والتحقير للدونتمة. وأنه إذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منتظم وممتثل ومؤتمن. فهو مستعد لتسليم مدينة الإسكندرية إليه. ولذلك إذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الإنكليزية تحترمهم وتسلم لهم المدينة. فقد تحقق من هذا أن الدولة الإنكليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية. و أنه تقرر من كافة الدول المعظمة بالقونقراتنس بأنه لايصير مس امتيازات الحكومة ولاحريتها. ولامس حقوق الدولة العلية. بل هي تبقي ثابتة لها كما كانت. وأن يصير إرسال عساكر شاهانية لأجل استتباب الراحة بمصر. فلذلك يلزم ان تصرفوا النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التي تجرونها بوصول أمرنا هذا. وتحضروا حالا إلي سراي رأس التين لأجل إعطاء التنبيهات المقتضية الشفاهية علي حسب أمرنا هذا ومااستقر عليه رأي مجلس النظار. فاطلعوا عليها وأفيدوا عن وصولها إليكم أوعدمه وعن تاريخ وصولها لكم».

يرد أحمد عرابي قائلا: نعم.. وصل إلينا هذا الأمر.. أما تاريخ الوصول فلم أكن متذكراً.

يرد عليه رئيس القومسيون: لماذا لما تنقاد لأمر الحضرة الخديوية. وتتوجه للأعتاب السنية كباقي النظار؟

يقول أحمد عرابي: إن الحرب التي حصلت لم يسبق لها مثيل. إذ هي خارجة

عن حد القياس حيث ان الحرب وماصار إجراؤها إلا بمقتضي قرار من مجلس سؤلف من النظار والذوات الاختيارية. تحت رئاسة الحضرة الخديوية بحضور أعضاء الوفد العثماني، فكان اجراؤها علي مقتضي الحق والقانون. ثم بعد خروج العساكر من إسكندرية توجه الجناب الخديوي من سراي الرمل إلي داخل إسكندرية التي تركها أهلها والعساكر، فلما بلغنا ذلك الأمر تحقق أن انتقال جنابه العالي إلي إسكندرية مع حصول المناوشات الحربية بين مقدمات العساكر المصرية والعساكر الإنكليزية، إما أن يكون لأخذه أسيرا أولانحيازه إلي الطرف المحارب، فمن أجل ذلك كتب لوكيل الجهادية بما حصل للمشاورة مع رجال الحكومة. فهذا الأمر الذي لم يسبق له مثيل. وبناء علي ذلك صار اجتماع عام من وكلاء الدواوين والمديرين والبرنسات والعلماء وشيخ الإسلام والقاضي والشيخ السادات والشيخ البكري وأعيان التجار والعمد وغير ذلك. وتشاوروا فيما بينهم عن هذا الأمر الذي دهم البلاد واستقر رأيهم جميعا علي إعطاء قرار بعدم سماع أوامر الحضرة الخديوية وتوقيفها عن الإعمال. حيث أنه توجه للطرف المحارب. وعرضوا ذلك تلغرافيا للحضرة السلطانية ببيان أسماء المشاهير من أعضاء ذلك المجمع. ومع ذلك ولأجل الاحتياط والوقوف علي الحقيقة عرضت للحضرة الخديوية تلغرافيا عن طلب صورة المصالحة التي سيعقد عليها الصلح.. حتي نتمكن من الحضور فلم يرد لي جواب بعدها.

مكانه في العاصمة

يقول له رئيس القومسيون: بعد صدور الإرادة السنية حررتم تلغرافات من طرفكم للمديريات رأسا بالاستمرار علي التجهيزات وجمع العساكر والمداومة علي المحاربة. وعدم سماع أوامر تصدر من خلافكم. وحررتم أيضا لوكيل الجهادية بهذا المضمون. ولم يذكر شيء فيما كتبتموه عن جمع من أوضحتم عنهم. لأخذ قرار منهم كما تدعون. فيعلم من ذلك عدم التقائكم لأوامر الخديوي والإصرار علي جمع العساكر والمحاربة. قبل صدور قرار من ذكرتم عنهم.

يرد عليه أحمد عرابي قائلا: قد قلت أولا إن هذه الحرب جرت علي غير مثال. وأنه بعد خروج العساكر من إسكندرية وخروج أهلها منها توجه الجناب الخديوي

إلي إسكندرية التي تبوأها الجيش المحارب للبلاد خلافا للقاعدة القانونية والشريعة الإسلامية. إذ أنه كان الذي يلزم حضور جنابه العالي إلي مصر عاصمة البلاد.. وهناك يصير تجييش الجيوش للحرب أوالمخابرة في الصلح. ومع صدور الأمر في هذه الحالة لايمكن لأي رئيس جيش العمل به إلا بعد تحقيقه. ربما أن يكون مدسوسا من الطرف المحارب علي لسانه. أويكون مقهورا عليه. إذ الحرب خدعة كما هو معلوم. من أجل ذلك عرضت لجنابه الرفيع بإرساله صورة المصالحة. حتي يمكنني التوجه إلي إسكندرية، وقد كتب للمديريات المذكورة بسرعة إرسال انفار العملية لعمل الاستحكام واستمرار التجهيزات الحربية. وفي يوم ورود الأمر كانت المناوشة حاصلة بين مقدمات الجيشين إلي الغروب، فلو كان هناك صلح حقيقة، لما كان يحصل مناوشة بين مقدمات الجيشين. وأي رئيس من أي ديانة كانت وفي أي بلد كانت مترائسا علي جيش مدافعا عن بلاده لايمكنه ان يجري خلاف ما أجريته في حالة وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها.

عند «حجر النواتية»

لايشير رئيس القومسيون من قريب أوبعيد بعد هذا الرد المفحم، إلي السبب الحقيقي في لجوء الخديوي توفيق إلي احضان قوات الاحتلال الانكليزية بمجرد دخولها الإسكندرية.

ولكنه يعود ليسأل عرابي: ماهي المناوشة.. أوضح لنا معناها.. هل كان حصل ضرب نار في مقدمات الجيشين وكيف؟

يرد أحمد عرابي: نعم.. كان حصل مناوشة بضرب النار جهة كوبري حجر النواتيه الكائن علي المحمودية.

رئيس القومسيون: هل كان ضرب النار من طرفكم أومن طرف الانكليز؟

أحمد عرابي: من الطرفين.

رئيس القومسيون: لماذا لم تنقادوا إلي الارادة السنية وداومتم علي المحاربة.. ولماذا منعتم أهالي إسكندرية الذين كانوا قد حضروا منها إلي جملة جهات من

العودة إلي وطنهم؟

أحمد عرابي: تقدم كما قلت في جوابي أني عرضت للحضرة الخديوية بطلب صورة من المصالحة للوقوف علي الحقيقة.. وماكنت أجاب.. وهذا لايعد عدم امتثال بل هو بحث عن الحقيقة ولما ورد أمر العزل تذكرت أنه من قبيل ذاك الأمر الأول حيث إن الخديوي موجود بطرف الجيش المحارب. ولم أقف علي حقيقته كما ذكرت فأرسلته إلي وكيل الجهادية للنظر فيه بالمجلس وإفادتنا بما يستقر عليه الرأي. ولم يحصل ورود أحد من أهل إسكندرية عائدا اليها حتي يصير منعه. بل الكل كان مهاجرا إلي بلاد الأرياف مع غاية الازدحام.

رئيس القومسيون: بعد صدور أمر الحضرة الخديوية وأمر سعادة رئيس مجلس النظار بإرجاع أهالي إسكندرية الذين هاجروا قد صار نزولهم بعربيات السكة الحديد وقامت بهم قطارات متعددة لكن أرجعتم بعضهم من كفر الدوار والبعض من دمنهور والبعض من طنطا وتوقف قيام وابورات بهم بعد ذلك من محطة مصر.. ومن التلغرافات التي ستتلي عليكم الآن يتضح أنكم أنتم الآمرون بمنع عودة المهاجرين لأوطانهم.. فأفدنا عن سبب ذلك؟

ثم تلا رئيس القومسيون علي أحمد عرابي صورة تلغراف من يعقوب سامي إلي أحمد عرابي يخبره فيه انه صدرت إرادة سنية تلغرافية لتحسين الحالة بالإسكندرية وإرسال المهاجرين منها إليها مرة ثانية لكن مأمور إدارة السكة الحديد تلقي تلغرافا من مأمور إدارة الجيش بكفر الدوار بأن عرابي لم يأمر بذلك، ويتساءل يعقوب سامي أي الأمرين ينفذ؟

تلغرافات عرابي للآستانة

ثم يعود رئيس القومسيون ليثير موضوعا آخر.. وهو الاتصالات التي تمت بين احمد عرابي والدولة العثمانية في الآستانة خلال الأزمة.

فيقول له: لدينا ثلاثة تلغرافات محررة منكم إلي نسيم بك طرف الحضرة السلطانية تتضمن القدح والذم في حق الحضرة الخديوية وتتهمه في أمور غير حقيقية وتتهم أيضا عساكر دولة الإنكليز بما لايقع منهم مثل القتل والفتك بالأهالي وماأشبه.

ويتلو عليه صورة التلغراف الأول الذي حرره عرابي في غرة رمضان إلي الآستانة ويقول فيه: في يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان ابتدأت الإنكليز في الضرب بمدافع الدونتمة علي إسكندرية واستحكاماتها. والضرب تسبب عن طلبات من الأميرال الإنجليزي، وبلغت إلي حضرة الخديوي وهو عرضها علي مجلس نظاره الذي عقده تحت رياسته بحضور دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية وكثير من ذوات البلاد. ولما تحقق عند جميعهم ان الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن الدولة العلية. استقر رأيهم علي معارضة طلب الأميرال، ولو أدي ذلك إلي الحرب. وبناء عليه قرر المجلس المذكور بلزوم المدافعة وأن لاتطلق المدافع من جهتنا إلا بعد إطلاق خمسة مدافع من السفن الإنكليزية.

«وحين ابتدأت السفن بالضرب علي مدينة إسكندرية لما تقابلها الطوابي إلا بعد عشرين طلقة. حال كونها علي غير استعداد ولاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد ولهذه الأسباب تعتبر المحاربة واجبة بوجه الحق والشرع حيث أنها صادرة من الإنكليز ظلما وعدوانا. وأن العساكر المصرية الشاهانية تثبت غاية الثبات في مراكزها وبذلت غاية جهدها مدة الحرب التي استمرت نحو عشر ساعات ونصف الساعة. إلي أن تخربت الاستحكامات ومدينة الإسكندرية هدماً وحرقاً من مقذوفات السفن ذات المواد الالتهابية.

«ثم تأخر الجيش خارج المدينة في موقع يصلح للقتال برا. وفي حال القيام بالمدينة دخل إليها الخديو بحرمه وبرفقته دولتلو درويش باشا وأنزل حرمه في البحر وأظهر انحيازه للإنكليز وترتب الحرس عليه من عساكر الإنكليز واتخذ المصريين والجيش الشاهاني عدوا له. وأرسل رسله إلي المهاجرين ينادونهم بالصلح ويحثونهم علي العودة إلي المدينة. وبعد أن دخل بعضهم حرض عليهم عساكر الإنكليز يقتلون ويبطشون بهم وبالعساكر المصرية الشاهانية الذين كانوا خفرا عليه ثم صدرت الأوامر للمديريات بحصول الصلح وترك جميع العساكر والتجهيزات. فكان أمره كأمر باي تونس. وقد تحقق ما كنا عرضنا علي الحضرة السلطانية فنرجو عرض ذلك علي اعتاب حضرة أمير المؤمنين نصره الله.

عندنا جيش عظيم

أما التلغراف فيقول فيه عرابي: «أرفع لسدة أمير المؤمنين ماحل ببلادنا من تواطؤ الخديوي مع الإنكليز وميل دولتلو درويش باشا كل الميل لتعضيد الخديو. حتي بعد أن تحقق انحيازه إلي الانكليز ومرافقته له حين توجهه إليهم بعد خلو مدينة إسكندرية من العساكر مع أنه كان الواجب علي دولته ذمة وربانة أن ينصح الخديوي بأن يتوجها معا إلي العاصمة مقر الحكومة ليكونا خلف الجيش لا أن يتركا جيش الإسلام الشاهاني. وينحازا إلي جيش العدو المحارب فمما ذكر يتضح جليا أن العدوان الحاصل من الإنكليز ماكان إلا باتحادهما معا. ولذلك صدر إعلان من الأميرال الإنكليزي مقتضاه أن الخديوي فوض له إدارة إسكندرية مؤقتا.. ونأمل عرض ذلك علي أعتاب الحضرة الملوكانية أيدها الله».

وفي التلغراف الثالث كتب عرابي يقول: «أعرض للسدة العلية السلطانية إن الشعب المصري الشاهاني لما رأي اتحاد توفيق باشا مع دولة الإنكليز.. علي وقوع الفرقة بيننا وبين متبوعنا مولانا أمير المؤمنين لشق عصا الإسلام معاذ الله. وتحقق له ذلك من الحرب التي أثارتها علينا الإنكليز بغتة. اجتمعت كلمة أهل البلد علي حفظها والدفاع عنها. وتسابقوا للانتظام في سلك الجهادية تطوعا حتي انتظم عندنا جيش عظيم جرار وكذلك تجمع من قبائل العربان كل شاكي السلاح. وقد رتبنا العساكر والعربان في النقط المهمة. وأصبحت قوتنا البرية عظيمة. مع إعداد الذخيرة والمؤونة الكافية لهذا الجيش الشاهاني. وفي كل وقت تنطلق الألسنة المصرية بالدعاء لأمير المؤمنين وتأييد شوكته والشعب بأجمعه واثق بأن العظمة الشاهانية تحل مشاكله التي جلبها عليه توفيق باشا، أما المدافعة عن البلاد وأهلها والحقوق السلطانية فهي من الواجب علينا. وفي كل حال الأمر لمن له الأمر».

لهذا اتصلت بالأستانة

بعد ذلك.. يسأل رئيس القومسيون أحمد عرابي: فهل يجوز لك الدخول في الأمور السياسية والعرض للحضرة السلطانية بأشياء مماثلة لذلك؟

يرد أحمد عرابي قائلا: من المعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يحصي جميع أعماله. ولذلك قلت أنني لست متذكرا إرسال تلغرافات غير تلغراف واحد إلي المابين الهمايوني.

والتلغرافان الآخران مرسلان من طرفي بواقعة الحال أحدهما بوقت حضور العساكر إلي كفر الدوار.. والآخر بعد تقرير المجلس العام بمصر عن لزوم توقيف الخديوي وعدم سماع مايصدر من جنابه الرفيع من الأوامر. لمناسبة بقائه بطرف الجيش المحارب. وماعرض ذلك للمابين الهمايوني إلا لكون البلاد تابعة للسلطنة العثمانية. وأصبح حاكمها مع الجيش المحارب لها.

وهنا يقرر رئيس القومسيون تأجيل التحقيق ويأمر بإعادة الزعيم أحمد عرابي من جديد إلي محبسه. علي أن يواصل التحقيق معه في اليوم التالي.

وكان بطل موضوع استجواب تلك الجلسة.. عبد الله النديم.. القلم الوطني المصري الثائر وصوت الثورة العرابية.

الفصل السادس

محاكمة زعيم

النديم يؤلف نشيدا ضد الإنجليز والجماهير تردد خلفه

لم تكن محاكمة لأحمد عرابي فقط. بل كانت محاكمة للثورة العرابية ولانتفاضة مصر ضد الظلم المتمثل في الخديوي والتدخل الأجنبي في شئون البلاد والذي وصل إلي حد الاحتلال البريطاني لمصر.

ولهذا كان من الطبيعي أن يشمل استجواب الزعيم أحمد عرابي آخرين. كان في مقدمتهم الثائر الفريد صاحب القلم المدفع عبد الله النديم.

وقد بدأت رحلة النديم مع الثورية قبل عهد الخديوي توفيق، عندما أصبح تلميذاً لجمال الدين الأفغاني.

كان النديم يجلس مع غيره من الوطنيين في قهوة متاتيا بالعتبة الخضراء منبهراً بالأفغاني الذي كان يلقي الخطب النارية مستثيراً حماس المصريين.

كان الأفغاني يقول: «أنتم معشر المصريين قد نشأتم علي الاستعباد وتربيتم في حجر الاستبداد والأكراد والمماليك، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه، ويستنزف قوام حياتكم بما يتحلب من حياتكم من عرق جباهكم بالعصا والمقرعة والسوط. وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة.. لا حس لكم ولا صوت.

وتنتفض الدماء في شرايين النديم وهو يستمع إلي الأفغاني يواصل صارخاً: انظروا أهرام مصر وهياكل ممفيس وأثار طيبة وحصون دمياط شاهدة بمنعة أبائكم وأجدادكم.. هبوا من غفلتكم واصحوا من سكرتكم.. عيشوا كباقي الأمم أحراراً أو موتوا مأجورين شهداء.. وأنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ما يسد الرمق ويقوم بأود العيال.. لماذا لا تشق قلب ظالمك..لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون أتعابك.

مصر الفتاة

وعندما يرفض الخديوي إسماعيل نصيحة الأفغاني بإشراك الأمة في حكم البلاد وإجراء انتخابات نواب عن الأمة – يؤلف الأفغاني الحزب الوطني الحر الذي كان أول حزب سياسي في مصر. ويسارع عبد الله النديم إلي الالتحاق بالحزب.

وعندما يقبض علي جمال الدين الأفغاني ينضم عبد الله النديم إلي جمعية سرية اسمها مصر الفتاة وجمعية علنية هي الجمعية الخيرية الإسلامية التي يفصل منها فيما بعد لأسباب غير معروفة.

ويبدأ القلم الثائر حربه ضد الظلم والطغيان،..

وبينما لم يكن قد تجاوز السادسة والثلاثين من عمره يصدر عبد الله النديم مجلة التنكيت والتبكيت التي كانت معولاً وسيفاً أعمله النديم في جسد الذين يظلمون الشعب المصري.

وعندما يشتد خطرها وتأثيرها تتوقف التنكيت والتبكيت .لكن النديم لا يتوقف فيصدر مجلة أخري يختار لها أحمد عرابي اسمها وهي الطائف التي أصبحت عنواناً لفكر الثورة العرابية.

وينطلق عبد الله النديم رئيس تحرير الطائف يندد بجرائم الخديو إسماعيل في حق مصر والمصريين، حتي ينعقد مجلس شوري النواب برئاسة محمد سلطان باشا، ويقرر تعطيل الطائف شهراً.

لكن القلم الذي أرادوا له الاحتجاب ينكسر وينطلق النديم مع فرق للخطابة يطوف أقاليم مصر ومدنها. مشعلاً حماس الوطنيين وداعياً إلي تأييد الثورة العرابية. ويغني النديم أول نشيد وطني يردده خلفه الشعب المصري. ضد المذكرة الإنجليزية – الفرنسية.

فكان يقول : اللايحة.. اللايحة

فتردد الجماهير خلفه: مرفوضة.. مرفوضة

وبعد أن تدك مدافع الأسطول الإنجليزي الإسكندرية.

وتقع الخيانة ويتم القبض علي عبد الله النديم. يصدر الحكم بنفيه إلي يافا في فلسطين ولا يعود إلي مصر إلا بعد وفاة الخديوي توفيق.

النديم منسوب إليك

وعندما يواصل رئيس القومسيون التحقيق مع أحمد عرابي يتهمه بأنه أرسل

تلغرافاً للسيد قنديل مأمور ضبطية الإسكندرية قبل المقتلة التي جرت يوم ١١ يونيه ١٨٨٢ في الإسكندرية تقولون فيه له أن يتحد مع سليمان سامي ومصطفي بك عبد الرحيم في إجراء ما نبهتم عليه به.

ويسأله رئيس القومسيون: هل تذكر هذا التلغراف.. وما هي التنبهات التي نبهت بها عليه؟

يقول له رئيس القومسيون: ألم يبلغك أن عبد الله النديم كان يتوجه إلي الإسكندرية قبل الواقعة المذكورة، ويجتمع مع الشبان ويلقي عليهم خطباً مهيجة. حتي أن محافظ الإسكندرية أراد أن يخرجه من البلاد. ولانتساب النديم ومأمور الضبطية لكم لم يحصل منعه ولا إخراجه؟

يرد عرابي: فضلاً عن عدم إبلاغي بذلك.. فإن عبد الله النديم ليس هو منسوبا لي ولا تحت إرادتي ولا أنا مسئول عنه. كما أن مأمور ضبطية إسكندرية كذلك.

يقول له رئيس القومسيون: معلوم للجميع أن عبد الله النديم كان محرر جرنال الطائف، الذي جميع عباراته منذ نشره مشتملة علي تهييج الأفكار. ومحتوية علي الأكاذيب، وصدور هذا الجرنال كان في معسكر كنج عثمان الذي كان النديم مقيماً فيه معكم في مدة العصيان، ولابد أن ما حرره في تلك الجريدة كان يجري اطلاعك عليه. فكيف يمكن إنكار أن النديم ليس منسوباً إليك وهو يقيم معك في المعسكر ويحرر الجريدة التي كانت أيضاً مشحونة بالطعن في حق الذات الخديوية ودولة الانجليز الفخيمة؟

يرد أحمد عرابي قائلاً: إن جرنال الطائف جاري طبعه ونشره في الحكومة من مدة زمانية ولم يصر قفله في تلك المدد.

أما عن إقامة محرره بالجيش أثناء المحاربة فليس لي حق في منعه. إذ هو مثل أي محرر لأي جرنال من الجرانيل المحلية أو الأجنبية. فلا حق لي في منعه أيضا، كما جرت بذلك عادة المحاربات. وأما إطلاعي علي ما هو محرر بالجرنال يومياً فإن كثرة أشغالي الدفاعية تمنعني من الإطلاع علي الجرانيل. بل كانت تمنعني عن ما هو أهم منها.

تسألونني.. عن كل غائب

يعود رئيس القومسيون ليقول له: إقامة عبد الله النديم معك في المعسكر يستدل منها علي أن ما حدث منه في تهييج الأفكار ضد الأورباويين بالاسكندرية. ونشأ عنه مقتلة ١١ يونية ١٨٨٢، كان بتعليماتك له واتحادك معه. ولولا ذلك ما كان ينتمي إليكم وتحميه بالإقامة بطرفك. حتي يتجاسر علي تحرير جريدة مماثلة لتلك، والآن لما علم بالقبض عليك وسجنك اختفي عن البصر بالكلية.. وهذا أعظم دليل علي انتمائه إليك ؟

يقول عرابي: توضح بجوابي ما فيه الكفاية.. ولا مناسبة لسؤالي عن أعمال شخص آخر لمجرد وجوده بالجيش أثناء الحرب.

رئيس القومسيون: ألم يبلغك أيضا توجه حسن موسي العقاد إلي الإسكندرية قبل واقعة ١١ يونية ١٨٨٢ واشتراكه مع النديم في تهييج الأفكار ؟

أحمد عرابي: لم يبلغني ذلك.

رئيس القومسيون: أما كان حسن موسي العقاد يتردد عليك بمنزلك والاجتماعات التي كنت تجريها. وألم تتوجه إلي منزله مراراً ؟

أحمد عرابي: حضور حسن موسي العقاد إلي منزلي لم يكن أكثر من غيره فإني في أغلب أوقاتي ما كنت أتخلص من ازدحام الناس الحاضرين إلي منزلي، ولم يكن حضورهم بدعوة مني إليهم. كما أني توجهت في ضيافتين لمنزل حسن موسي العقاد مع وجود كثير من الأمراء والأعيان والعلماء، وبعد تناول الطعام توجهت إلي أشغالي كما جرت العادة.

رئيس القومسيون: إذا لم يكن حسن موسي منسوباً لك أيضاً مثل النديم. فلماذا اختفي هو كذلك، بعد أن صار سجنك ما دام أنه ليس في الجيش ولا كان موجوداً في المحاربات ؟

أحمد عرابي: يؤخذ عن هذا السؤال أنني أسأل عن كل من غاب مع أني لست بمأمور عليهم.

ورغم ذلك فإن رئيس القومسيون لا يشعر باليأس ويعود من جديد لإثارة كل

ما يمكن أن يدين أحمد عرابي.

فيقول له: الجمعية التي صار عقدها بمصر عقب عزلك، كان قد تقرر فيها إرسال وفد لأجل كشف صحة الحال في إسكندرية والتأكد مما إذا كان الجناب الخديوي والنظار محجوزين بطرف الإنجليز وليسوا أحراراً في أفعالهم كما تدعون.. فهل رجال هذا الوفد لم يرجعوا عليكم ثانية وأخبروك بأن الجناب الخديوي والنظار ليسوا محجوراً عليهم ولا هم تحت سلطة أحد بل هم في حريتهم. وأعطوكم نصايح بعدم إجراء ما كنت تجريه من العصيان وعدم استماع أوامر الخديوي؟

يقول أحمد عرابي: لم يحصل ذلك من أحد منهم.. والوفد الذي أرسل إلي الإسكندرية كان بقصد طلب النظار والحضرة الخديوية إلي مصر إذا كانوا أحراراً في أعمالهم. وقبل ذلك كنت لا يمكنني أن أجري عملاً ما في غير رأي المجلس المنعقد بمصر.

كلفوني بالدفاع عن مصر

يسأله رئيس القومسيون: أي مجلس هذا الذي تقول عنه؟.. وما اسمه؟ ومن الذي أحدثه ؟

يرد عرابي قائلا: هو مجلس إدارة البلاد الذي صار اجتماعه بمصر للنظر في أحوالها وصار تشكيله عقب الحرب باتفاق وكلاء الدواوين المعبر عنه بالمجلس العرفي.

رئيس القومسيون: بأمر من تشكل ؟

أحمد عرابي: بأمر وكلاء الدواوين وبعض الباشاوات الموجودين في مصر.

رئيس القومسيون: في أجوبتك السابقة تدعي أن أهالي البلاد وسطوك أنت وباقي الضباط في طلب تشكيل مجلس نواب، ينوب عن الأمة المصرية ومنحتكم الحضرة الخديوية ذلك.

فإن كان العصيان الذي ارتكبته أنت وباقي الضباط ضد الحضرة الخديوية والدولة العلية، فيه أدني موافقة للأمة المصرية كما تدعون. فعلي الأقل كنت

تستشير رأي مجلس النواب بدل الارتكان علي وكلاء الدواوين. وكم شخصاً من الباشوات كما أوضحت الذين أغلبهم لما سئلوا الآن أجابوا أن قبولهم الدخول في هذا المجلس فقط من التهديدات التي كانت تحصل منكم وممن ارتكب جنحة العصيان معكم من باقي الضباط، فمن هنا يري أن الأمة المصرية حاشا أن يكون لها مدخل في هذا العصيان الواقع منكم، أنتم ورؤساء العصبة العسكرية. وأن ما تحصلتم عليه من الذخاير والاستعدادات في وقت العصيان كان بواسطة قوة الأسلحة التي أعطتها لكم الحكومة.. لحفظ ناموسها وشرفها، وأنتم استعملتموها في هذا الأمر الشنيع الذي أدي إلي الخراب وقتل النفوس بدون وجه حق.. فأفدنا عن ذلك ؟

يقول أحمد عرابي: المجلس الذي تشكل للنظر في أحوال البلاد كان يزيد علي الأربعمائة نفس. وكما قلت أولاً كان منهم البرنسات أعضاء العائلة الخديوية وشيخ الإسلام والقاضي والمفتي ووكلاء الدواوين والمديرون وقضاة الأقاليم وأعيان التجار وكثير من أعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد. وقرروا بلزوم إناطتي بالمدافعة عن البلاد حيث كنت موجوداً صحبة الجيش في كفر الدوار. وجميع العساكر كانت متوزعة في الثغور. ولم أكن موجوداً في المجلس. فكيف يتأتي مع ذلك أن حضورهم كان بصورة تهديدية. وكيف مع ذلك ينسب إلينا وإلي رؤساء الجيش العصيان الذي تكرر لفظه بهذه المذكرة. مع أنه لا توجد أمة من الأمم متصفة بالعدل أن تنسب إلينا هذا العصيان المقال عنه. إذ أن الحرب كان افتتاحها بمقتضي قرار من مجلس شكل تحت رياسة الحضرة الخديوية بل الحق كانت شرعية قانونية، ثم بعد ذلك كانت استدامة المدافعة بمقتضي ذاك القرار. الذي لا يمكن القدح فيه بوجه من الوجوه. فالأسلحة ماصار استعمالها إلا لما وجدت له. وهو الذود عن البلاد وحمايتها مدافعة شرعياً علي مقتصي ما تقدم ذكره.

ذهبنا فقط للتهنئة

يسأله رئيس القومسيون: ألم يبلغك البيان الصادر من الحضرة السلطانية في حقك بأنك من العصاة بسبب ما فعلته ؟

عرابي: لم يبلغني.

رئيس القومسيون: بعد هزيمتك بالتل الكبير ورجوعك إلي المحروسة. حررت عريضة إلي الحضرة الخديوية. وأرسلتها مع رءوف باشا وبطرس باشا وعلي الروبي بطلب العفو من الحضرة الخديوية وأنك مطيع ومنقاد لأوامرها العلية فبعد سفرهم ابتدأت ثانياً في اتخاذ خطوط النار بالعباسية. وطلبت مرعشلي باشا وأمرته بذلك.. فهل يصح أنه بعد العرض بالطاعة يحصل العصيان ؟

عرابي: التنبيه علي مرعشلي باشا باستكشاف خط تحفظي علي مصر. كان قبل تحرير العريضة وتوجه رءوف باشا ومن معه، ولما رؤي عدم اللزوم صرف النظر وتحررت تلك العريضة.

رئيس القومسيون: لما سئلت عن سبب حصر سراي عابدين بالعساكر في ٩ سبتمبر ١٨٨١ . أوضحت في أجوبتك السابقة بأن بعض أصحاب القضايا تبقي قضاياهم بالمجالس نحو عشرين سنة. حتي يموت أصحابها كمداً ولا تنظر قضاياهم، ولذلك أردتم تشكيل مجلس نواب لينوب في رؤية حقوق الأمة كما هو بالبلاد المتمدنة. والحال من سياق التحقيقات الحاصلة الآن. أنه بعد هذه الواقعة توجهت أنت وعلي فهمي وعبد العال وطلبة ومحمد عبيد وجانب من الضباط لمنزل قدري باشا مذ كان ناظر الحقانية. وطلبتم منه إطلاق عناني بك من السجن الذي كان متوقعاً عليه بأمر المجلس المختلط. ولما لم يوافقكم قدري باشا هددتموه ولم يتخلص منكم، إلا بتوجهه لطرف رئيس النظار وقتها. وأنتم توجهتم في أثره إلي محمود سامي ناظر الجهادية وقتها وأخذتموه معكم، وتوجهتم لطرف رئيس مجلس النظار لهذا الغرض. فهل يقع ذلك من أحد يدعي أنه يسعي في نيل العباد علي حقوقها ويريد التشبه بالبلاد المتمدنة متعرضاً إلي أحكام مجلس مختلط أعضاؤه أوروباويون من الدول المتمدنة؟

يرد أحمد عرابي قائلاً: الحقيقة غير ذلك.. بل الحق أن عناني بك أجري عمل وليمة في الأزبكية فرحاً وسروراً بصدور الأمر بافتتاح مجلس النواب، وبناء علي ذلك جري سجنه في الضبطية في أيام العيد، وكلنا توجهنا للمعايدة علي سعادة قدري باشا، كما جرت العادة في أيام الأعياد. فذكرنا سعادته بمسألة

العناني وترجيناه في إخلاء سبيله لأجل المعايدة مع أولاده، وفيما بعد إذا كان عليه قضية يحاكم عليها. فجاوبنا سعادته بأنه مسجون بالضبطية بأمر المجلس المختلط وسينظر في أمره. ولم يحصل تهديدات ولا يجوز أبداً إجراء تهديدات لمثل هذا الفاضل.. وهذا هو الحق.

الأمة المصرية كلها

يعود رئيس القومسيون ليقول له: في أجوبتك السابقة أوضحت أن المجلس الذي عقد بالداخلية لم يحصل فيه تهديدات لأحد. وترتكنوا علي وجود البرنسات والعلماء خاتمين علي المحضر الذي تحرر عنه. مع أن هؤلاء أوضحوا أنهم جبروا علي ذلك. وفضلاً عن ثبوت حصول التهديدات من عصبتكم العاصية بديوان الداخلية. فإنكم أمرتم بعزل وسجن بعض المديرين وهم شاكر باشا وإبراهيم أدهم باشا وإبراهيم بك توفيق وحسن بك فهمي، وحصل فعلا عزلهم وسجنهم مدة أيام وصار سجن غيرهم، حتي أنه عند دخول الإنجليز إلي مصر - وجدوا نحو الثمانماية شخص مسجونين بالطوبجانة تهديداً لباقي السكان. وهذه دلايل قوية مثبتة أن الذين ختموا بتلك الجمعيات كانوا مقهورين مجبورين علي ذلك، وأن المساعدات التي حصلت من طرف الأهالي لجيش العصاة كانت أيضاً من هذا القبيل.

يرد أحمد عرابي بصبر: قلت بأجوبتي المتقدمة في هذا الخصوص أنه لا يتصور أصلاً حصول تهديدات مجلس مؤلف من أعيان الأمة المصرية ورؤسائها ونبهائها يزيدون علي الأربعماية نفس.

كما أن المساعدات والتبرعات التي كانت ترد للجيش المدافع عن البلاد مدافعة شرعية لم تكن بتهديدات أيضا بل من الناس من تبرع بنصف ماله ومن الناس من تبرع بماله أجمع ابتغاء مرضاة الله. ومن الناس من تبرع بثلاثة آلاف أردب غلال وثلاثين رأساً من الخيول تبرعاً لمساعدة الجيش. إذ أن الحرب الشرعية إما أن تكون بالنفس أو بالمال أو بالرأى، ومن ضمن من تبرع وافتتح باب المساعدة دواير العائلة الخديوية وأغلب الذوات تبرعوا أيضا، ولو استكشفت التلغرافات التي كانت ترد من جميع أهالي المديريات. حتي من

مديرية إسنا بدون واسطة مديرياتهم. لعلم أن الأمة المصرية جميعها كانت محاربة بمالها وأنفسها. ولو استكشفت قوايم التبرعات لعلم انه لم يتأخر أحد من أولي الرياسة في المساعدة ومن ضمنهم سعادة خيري باشا حال كونه لم يشهد الحرب بل كان في الاسكندرية.

ومن ضمنهم دايرة دولتلو رياض باشا.

ويسأل عرابي رئيس القومسيون: أفكل هذا كان جبرا علي جميع الناس؟ ومن الذي كان يجبرهم؟ إن هذا الأمر خق تعترفه أهل البصاير الحقة.. وأما الذين وجدوا مسجونين بالقلعة فأظنهم لايزيدون عن ماية نفس من أرباب الجنايات المحكوم عليهم بالحبس ومحضرين من المديريات.

ولم يصدر مني أصلا أمر بسجن أحد في القلعة أوغيرها. كما أن عزل شاكر باشا وغيره من المديريات التي كانوا بها كان بأمر المجلس الإداري المعبر عنه بالعرفي لابأمري. وإني ماكنت إلا رجلا مأمورا بأمر من طرف ذلك المجلس الذي بيده حكومة البلاد. وهو حفظ البلاد والمدافعة عنها.

أسلوب حقير

ويستمر التحقيق مع أحمد عرابي..

ويغتاظ هؤلاء الذين يريدون لف حبل المشنقة حول رقبته من صموده خلال التحقيقات، ومبادرته بالرد الحاسم علي كل ما يوجه إليه من أسئلة. والتزامه الذي لايحيد بأحقية شعب مصر في الدفاع عن تراب وطنه.

ويلجأ هؤلاء إلي اسلوب آخر حقير..

ويحاولون الضغط علي هيبة الأسد السجين ..

بحيلة قديمة ومعروفة اسمها محاولة النيل من كرامة السجين السياسي. والضغط علي اعصابه وهو سجين لا يستطيع الدفاع عن نفسه وهذا ما حدث مع أحمد عرابي.. وهو نائم ذات ليلة في زنزانته بالسجن !

الفصل السابع

محاكمة زعيم

حجاب على صدر عرابى
لأن أولاده كانوا
يموتون بالصرع

لم تبرد نار حقد الخديوي توفيق علي الزعيم أحمد عرابي، بالقبض عليه وتقديمه إلي محاكمة صورية كان الهدف منها إعدامه ورفاقه. وتأججت هذه النار عندما حوّل أحمد عرابي الأمر إلي محاكمة للخديوي نفسه. الذي خان مصر وباعها بأبخس ثمن للإنجليز. وذلك بردود عرابي القوية والحازمة علي كل ماوجه إليه من أسئلة خلال التحقيق معه.

فلجأ الخديوي إلي أسلوب حقير لعله يطفئ نار حقده..

وبينما أحمد عرابي نائماً في زنزانته بعد يوم طويل مرهق من الاستجواب. إذا ببعض الضباط الچراكسة، ومنهم الحارس الخاص للخديوي يقتحمون الزنزانة.. ويحاول إهانة زعيم الثورة العرابية بتوجيه ألفاظ السباب والشتائم البذيئة له.

ولم يتردد أحمد عرابي في صباح اليوم التالي في إبلاغ الكولونيل ولسن عند مروره بالسجن بهذه الواقعة.

ووجد رئيس القومسيون نفسه مضطراً للتحقيق في الواقعة. لكنه بالطبع كان من ذلك النوع من التحقيقات «الملفقة» التي تنتهي بعدم الوصول إلي الفاعل!

.. من أنت؟

وتقرر اللجنة التي كلفت بإجراء التحقيق استدعاء أحمد عرابي من سجنه لسؤاله عن تفاصيل ما حدث في الزنزانة.

- ويقول أحمد عرابي لرئيس اللجنة: الساعة تسعة ونص أفرنكي فتح باب الأودة التي أنا بها وكنت نائماً وقتها وإذا بدخول أناس كثيرين لا أعلم عددهم لكون الأودة مظلمة ليس بها نور.

وقال لي قائل منهم بصورة مزعجة: يا عرابي.

فقمت من نومي فزعاً..

وقلت: ماذا تريد؟

قال لي: أما تدري.. من أنا؟

قلت: لا.. أعلمني باسمك وماذا تريد مني في هذا الوقت؟

فقال: أنا إبراهيم أغا يا ابن الكلب ياخنزير.

ثم تفل عليّ ثلاث مرات بصورة قبيحة وكلام قبيح. فما أمكنني أن أجاوبه في هذه الحالة وبهذا الوقت. ثم مكث علي هذا الحال نحو الثماني دقائق. وخرج مع من كانوا معه. وعلمت أنه هو إبراهيم أغا نوبتجي الحضرة الخديوية. الذي كان قد سبق خروجه من مصر في مدة سرقته مجوهرات شبكة الخديوي.

يسأله رئيس اللجنة: هل تكلم معك أحد خلاف إبراهيم أغا تلك الليلة؟

يقول أحمد عرابى: لم يدخل علي أحد الأودة وأزعجني بكلام غير إبراهيم أغا.

رئيس اللجنة: هل الأشخاص الذين كانوا مع إبراهيم أغا تعرف أحدا منهم؟

أحمد عرابى: لا أعلم منهم أحداً لكون الأودة كانت مظلمة كما قررت.

رئيس اللجنة: من الذي فتح الأودة؟

أحمد عرابى: الذي أعلمه أن الصاغقول أغاسي الخفير هو الموكول بفتح الأودة. ولايمكن لأحد فتح الأودة التي أنا بها ممن معه إلا بإذنه.

رئيس اللجنة: هل الصاغقول أغاسي دخل الأودة مع من كان صار دخولهم مع إبراهيم أغا؟

أحمد عرابى: لم أتحقق من ذلك لظلام الأودة.

رئيس اللجنة: الأشخاص الذين صار دخولهم كان بهم أحد لابس ملابس عسكرية؟

أحمد عرابى: الظلام منعني من رؤيتهم.

أولادي كانوا يموتون

يسأله رئيس اللجنة: من ابتدي حضوركم للسجن لحد الآن.. لم يحصل شيء مثل ماحصل في هذه الدفعة.

يرد أحمد عرابي قائلا: نعم في يوم الخميس ٥ أكتوبر ١٨٨٢ حضرت برفقة الكولونيل بتني الإنجليزي من الأودة التي كنت مقيما بها بطرف خفر الانجليز بقشلاق عابدين إلي هذا السجن المصري. فصار دخولي في أودة خلاف الأودة

ي أنا بها الآن. وبعد دخولي فيها حضر الصاغقول أغاسي الموكول إليه أمر سجن وفتشنا وأخذ منا سنداً مأخوذاً علي أحد معاوني الضبطية باستلام أختام رم وكريمة محمد بك. اللتين كانتا في وصايتي ومن جملة ذلك ورقة فيها ذكرة عن أسباب الحوادث التي طرأت علي مصر في الأيام الأخيرة. كان جري بريرها لأجل أخذ مايلزم منها عند الاقتضاء. وأخبرنا المذكور أنه سيعرضهم ي المجلس. ثم بعد ساعة حضر جمع كثير ودخل عليّ الأودة. فيهم أغوات من واصة التورك. الذين بمعية الحضرة الخديوية ومعهم تشريفجية أعرف منهم سين أفندي فوزي. ثم تقدم مني أحد القواصين بصورة هائلة مزعجة.

وقال لى: قم.

فقمت وقلت له: ماذا تريد؟

قال: أريد أن أفتشك.

ومد يده عليّ وصار يفتشني حتي أخرج الجزمة من قدمي وفتشها أيضا. فلم يد معي شيئاً إلا جملة أحجبة كانت تحت ملابسي وهي ليست بشيء وإنما كان ملها بسبب أن أولادي كانت تموت بداء التشنج في حال الصغر. ولم يجد نفعاً يهم أدوية الحكماء. ففزعنا علي حسب اعتقاد الناس إلي التحفظ علي الأولاد عمل تلك الأحجبة. وفي الواقع حفظهم الله بسبب ذلك. ثم بعد ساعة أخري ضر أناس قواصة أخري تورك. ومعهم جاويشية مراسلة من مراسلة المعية لحضرة الخديوية وأجروا تفتيشي وتفتيش السجادة والغطاء. فلم يجدوا شيئاً. بقوا باقي يومها وليلتها بصفة خفر علي الأودة. ولم يحدث منهم مايكدر خاطر.

يسأله رئيس اللجنة: هل تعرف أحداً منهم وإن كان حضورهم بأوامر أم لا؟

يقول عرابى: لم أعرف منهم خلاف حسين أفندي فوزي وهو الذي يعلمهم.

أقوال الخفير

وهنا يأمر رئيس اللجنة بإعادة أحمد عرابي إلي السجن ثم يبدأ التحقيق صوري في الواقعة باستدعاء الصاغقول أغاسي المسئول عن السجن.

ويسأله رئيس اللجنة: أحمد عرابي تشكي علي أنه في ليلة الأحد الساعة تسعة ونصف أفرنكي يعني الساعة ثلاثة ونصف عربي تقريباً فتحت الأودة عليه ودخل عليه جملة أناس بما فيهم إبراهيم أغا النوبتجي.. فكيف حصل ذلك؟

يرد الصاغقول أغاسي قائلا: لم صار فتح أودة أحمد عرابي ولم أحد دخل عليه في تلك الليلة.

رئيس اللجنة: هل يمكن فتح أحد أود المسجونين بغير أمركم؟

يقول الصاغقول أغاسي: لايمكن فتح أحد الأود إلا بأمري.

رئيس اللجنة: أفدنا عن اسم الخفير الذي كان علي تلك الأودة ومفتاحها مع من؟

الصاغقول أغاسي: الخفير المقيم بالجهة التي بها أودة أحمد عرابي هو مصطفي سليمان والذي معه مفتاح الأودة والأود المجاورة لها هما طلعت عزمي وياور صدقي الصغير.

يستدعي رئيس اللجنة الخفير مصطفي سليمان.

ويقول له: علم أنك كنت خفيراً علي السجن في ليلة الأحد من بعد الساعة ثلاثة لغاية الساعة ستة. فهل كنت خفيراً في تلك الليلة وفي الوقت المذكور أم لا؟

يقول الخفير: نعم كنت خفيراً في تلك الليلة من جهة يمين السلالم.

الخفير: أعرف أودة عرابي وأودة عبدالعال.. أما باقي الأود فلم أعلم من بهم.

رئيس اللجنة: هل دخل علي أودة عرابي في تلك الليلة والوقت المذكور أحد في مدة خفرتك؟

الخفير: لم يدخل أحد.

وهنا أيضا يسمح رئيس اللجنة للخفير بالانصراف ثم يستدعي طلعت عزمي وياور صدقي الصغير اللذين كانت معهما المفاتيح.

ويسألهما: هل صار فتح أودة عرابي ودخل بها أحد في ليلة الأحد الماضي؟

فيرد الاثنان: في الليلة المذكورة لم صار فتح الأودة ولم دخل أحد. وإذا لزم فتحها لأجل دخول يمك أومياه أو لأجل خروج المسجون لإزالة ضرورة، فيكون بحضور الصاغ أو البكباشي.

ـألهما: هل تركتما المفاتيح في جهة ما أوأعطيتموها لأحد؟

ـان: لايمكننا ترك المفاتيح أوإعطاؤها لأحد.

ـنا يأمر رئيس اللجنة أيضاً بالسماح للاثنين بالانصراف، لكنه بعد أن يتصل
س القومسيون، يعود ليقرر حجز الصاغقول أغاسي والخفيرين مصطفي
مان وخليل برازي في قشلاق البوليس تحت إذن اللجنة.

واسألوا الخديوى!

ـتي يكتمل التحقيق الهزلي يتم استدعاء إبراهيم أغا..

ـسأله رئيس اللجنة: ما اسمك؟. وماوظيفتك؟

ـقول: اسمي إبراهيم حلمي ووظيفتي نوبتجي باشا الحضرة الخديوية.

ـول له رئيس اللجنة: في ليلة الأحد الماضي هل صار حضورك إلي محل
ـسخانة التي بها المسجونون. ودخلت أودة أحمد عرابي وأحمد عبدالغفار أم لا؟

لطبع يرد قائلاً: أنا لم حضرت إلي هذا المحل.. ولم دخلت بطرف أحد من
ـجونين ولم يكن لي شغل بطرفهم.

ـئيس اللجنة: وما رأيك فيما قاله أحمد عرابي وأحمد عبدالغفار في حقك؟

ـد إبراهيم أغا قائلاً: لم حضرت ولم حصل مني شيء مثل ماقيل من
كورين. خصوصاً أنهما قالا إني حضرت الساعة ثلاثة وأربعين دقيقة. مع إني
ـت في الليلة المذكورة بخدمتي طرف الحضرة الخديوية لحد الساعة خمسة
ـف ليلا. حتي دخل جنابه العالي إلي الحرم. وهكذا في كل ليلة لم يمكنني
ـفصال من محل خدمتي إلا بعد دخول الخديوي. وأنه يسأل من المعية السنية
ذلك حتي بالنهار لم يمكنني الانفصال من محل ماموريتي إلا بعذر ضروري
ـمر مخصوص.

ـكذا استشهد المرتزقة بالخديوي..

ـيتم استدعاء عرابي وعبدالغفار واطلاعهما بأن إبراهيم أغا ينكر ما حدث
ـسر الاثنان علي أقوالهما.

فيقول إبراهيم أغا: لم أحضر إلي السجن مطلقاً.. وبيني وبينهم جميعا عداوة من قديم.. والجميع يعلمونها.

وكالعادة.. ينصرف إبراهيم أغا سالماً..

وينهي رئيس اللجنة التحقيق المزعوم قائلاً: حيث أنه من التحقيق الذي صار إجراؤه، أنكر إبراهيم أغا الحضور كما أن الخفراء والأشخاص الذين معهم مفاتيح السجن والصاغقول أغاسي أيضا، أفادوا بعدم حضور أحد. فلهذا لم ير شدة ضرورة لحجز الصاغقول أغاسي والاثنين الخفراء بخصوص ما ادعي به كل من أحمد عرابي وأحمد عبدالغفار علي إبراهيم أغا والحالة هذه إنما للاحظة أنه في المستقبل ربما يلزم الحال للاستعلام منهم عن شيء. فالأوفق مخابرة من يلزم بعدم حجزهم الآن. إنما تؤخذ عليهم الكفالات اللازمة. حتي أنه عند اللزوم متي صار طلب أحدهم يمكن الحصول عليه.. وبهذا قررنا هذا القرار علي هذا المحضر..

ورقة استفتاء العزل

وفي اليوم التالي يتم استدعاء أحمد عرابي من سجنه ليواصل رئيس القومسيون التحقيق معه.

ويقول له: قد وجدت في الأوراق التي ضبطت في منزلك. ورقة محررة بها صورة استفتاء من العلماء عن جواز عزل الجناب الخديوي. لأسباب تمويهية مخترعة.. فها هي الورقة المذكورة اطلع عليها وأفد.

ويقرأ أحمد عرابي الورقة التي تقول: «ما القول في حاكم مولي من طرف سلطان المسلمين علي أن يعدل في الناس ويقضي بأحكام الله فنقض العهد وأحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم. ثم انتهي به الأمر إلي أن اختار ولاية لغير المؤمنين علي ولاية المؤمنين. وطلب من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم في بلاد حكومته الإسلامية. وحمل رعاياه علي أن يدينوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية. وبذل عنايته في المدافعة عنها. ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك أبي

وامتنع وأصر علي الخروج من طاعة السلطان والمروق من الشريعة. فهل يجوز شرعاً أن يبقي هذا الحاكم حاكماً حتي يمكن قوة الأجانب من السلطة في البلاد الإسلامية أويتعين في هذه الحالة عزله. وإقامة بدل له يحافظ علي الشرع ويدافع عنه؟ أفيدوا الجواب.

ويقول أحمد عرابى: اطلعت علي الورقة ولم تكن بخطي ولا كانت بطرفي.

رئيس القومسيون: أما تعلم بها كلية؟

أحمد عرابى: لا أعلم بها كلية.

رئيس القومسيون: لكن هذه الورقة ضبطت ضمن الأوراق التي ضبطها عساكر الإنجليز في منزلكم. ووردت للقومسيون من طرفهم مترجمة بظاهرها بالإنكليزي.. فكيف لاتوجد في منزلكم..

أحمد عرابى: يمكن أنها ضبطت بالمنزل من ضمن الأوراق ولايبعد أنها كانت مع أحد الناس وتركها علي الترابيزة التي عليها الأوراق.

المصريون في بيت عرابى

يسأله القومسيون: في مدة سقوط وزارة محمود سامي كنتم جاريين تحرير محاضر بمنزلكم بعزل الجناب الخديوي. وجاريين إحضار الأهالي والعلماء لتختيمهم عليها بالجبر عنهم.. واستحضارهم لمنزلكم كان بواسطة ضابطين من الالايات. وأشخاص من مستخدمي الضبطية. كما هو متضح من التحقيقات.. فأفد عن أسباب ذلك..

يرد أحمد عرابى: لما تقدمت اللائحة من جناب قنصلي دولتي إنكلترا وفرنسا وقبلها الخديوي ولم تقبلها النظارة. وحضرت أعضاء مجلس النواب وأشيع ذلك بين الناس. تقاطر الناس أفواجاً أفواجاً من المديريات والمحافظات ومصر وإسكندرية. لرفض اللائحة المذكورة ورفض من يقبلها محررين بذلك الإعراضات والمحاضر.. أفهل كان كل هذا جبراً عن الناس.. وكنت أنا الجابر لهم.. الحق أن جميع المسلمين تأثروا بقبول هذه اللائحة وأنكروها غاية الإنكار، بل إن جميع المصريين أنكروها لما فيها من التداخل في أمور البلاد الداخلية.

يسأله رئيس القومسيون: إلي أين تقاطر الناس. هل إلي منزلكم أو لأي جهة؟ وهل كانت المحاضر التي يحررونها ترد إليكم مختومة أوتختم بمنزلكم؟ وما الذي أجريتموه في هذه المحاضر؟ وأين هي الآن؟

يرد أحمد عرابى: المحاضر كانت تأتي مختومة وكان حضور الناس بها إلي مصر جهرة لا خفية. وبحضور جميع الناس لمنزلي أومنزل رئيس النظار محمود سامي. كانوا يأتون بها ويقدمونها إلينا إعلاناً بعدم قبولهم اللائحة المذكورة ومن يقبلها. وكان ذلك بحضور أعضاء مجلس النواب وكلهم مصادقون علي ذلك. وكما قلنا أولاً فإن الأمة المصرية لم تختلف في هذه الطلبات. وكانت تلك المحاضر باقية بطرف أربابها. وبحضور دولتلو درويش باشا. وتشكيل وزارة راغب باشا وصدور العفو العمومي صرف النظر عن هذا وذاك.

رأي لجنة القومسيون

وأخيراً ينتهي التحقيق مع أحمد عرابي..

وتخلص لجنة القومسيون التي أجرت التحقيق معه رأيها في وثيقة تقول: أنه لما صدرت الإرادة الخديوية إلي أحمد عرابي باشا في يوليو ١٨٨٢ بأن الضرب علي الطوابي من دونتمة الإنجليز ماكان إلا للتهديد الذي حصل للدونتمة باستمرار التجهيزات الحربية بالطوابي، بعد صدور الأوامر بإبطالها وأمره الجناب الخديوي بصرف النظر عن جميع العساكر وإبطال التجهيزات. ويحضر لطرف سموه برأس التين لإعطائه التنبيهات اللازمة، فلم يمتثل وأظهر العصيان. بالرد علي سموه بأنه لابد من استمرار التجهيزات مادامت المراكب في الميناء. وفي الحال استعد للمقاومة وجدد استحكامات كفر الدوار وغيرها للمحاربة. مخالفاً في ذلك للإرادة المشار إليها. ولم يكتف عرابي بعصيانه للجناب الخديوي كما توضح، بل أرسل الأمر الصادر له بإبطال التجهيزات، وبطلبه كما ذكر (بإفادة منه لوكيل الجهادية بقصد استمرار التجهيزات). وللجهات والمديريات من طرفه منشور يأمر عموم الأهالي بالمداومة علي التجهيزات. ويحذرهم من الإصغاء للأوامر الخديوية التي تصدر إليهم بإبطال التجهيزات. وأنهم لا يتبعوا إلا أوامره هو فقط. ولما لم

يمتثل عرابي باشا لإبطال الحرب والتجهيزات والتوجه إلي سمو الخديوي. واستمر علي العصيان صدرت له إرادة خديوية مآلها الشريف أن ذهابه إلي كفر الدوار مستصحباً العساكر وإخلاء الإسكندرية من غير أن يصدر له أمر بذلك. وتوقيف حركة السكة الحديد وقطع جميع المخابرات التلغرافية عن سموه ومنعه ورود البوسطة لجنابه. ومنعه رجوع المهاجرين لوطنهم إسكندرية. واستمراره علي التجهيزات العسكرية. وامتناعه عن الحضور بعد طلبه. كل ذلك أوجب عزله. ولهذا قد عزله من نظارة الجهادية والبحرية. فلم يذعن لهذا أيضا. بل بقي مستمراً علي ترأسه علي الجيش. وعلي استدامة التجهيزات الحربية وتكليف الأهالي بالانقياد لأوامره والمخالفة لأوامر الخديوي. كل ذلك بعد رفع الراية البيضاء إشارة للسلم والدخول في المكالمة. وبعد صدور الأوامر إليه بإبطال التجهيزات وقبل وبعد عزله من نظارة الجهادية. كما هو مثبوت بالدلائل وبالمنشور الذي أصدره لكافة الجهات..

هكذا انتهت محاكمة أحمد عرابي..

وبقي صدور الحكم عليه.. هذا الحكم الذي كان معداً سلفاً.. قبل المحاكمة!!

الفصل الثامن

محاكمة زعيم

الأميرة إنجي أرملة
الخديوي سعيد تشكر
المحامي «برودلي»
لدفاعه عن عرابي

سوف يسجل التاريخ أن محاكمة أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية. لم يستغرق نظرها سوي خمس دقائق فقط.

فمن البداية وقبل حتي أن يجري القومسيون التحقيق معه ومع رفاقه. كان الخديوي توفيق قد أصدر الحكم بإدانة عرابي وبقية زعماء الثورة العرابية. وما كان التحقيق معه ومعهم إلا إجراء صورياً. كان لابد منه خاصة أن بريطانيا التي استنجد بها الخديوي لاحتلال مصر كانت تتباهي بأنها دولة متمدينة متحضرة.

لكن ما كان ممكناً أن يستمر عرابي ورفاقه في العيش في مصر. طالما الخديوي توفيق علي رأس الحكم.

ورغم أن قضية أحمد عرابي قد تضمنت الآلاف من الأوراق والمستندات. وكل ورقة ومستند منها، يؤكد أن عرابي استطاع أن يحول محاكمته إلي محاكمة للخديوي نفسه وللإنجليز الذين احتلوا مصر خسة وغدراً وبطشاً.

تحقيق بعد الظهر

كما تبقي هذه الوثائق شهادات تاريخية لواحدة من أهم القضايا السياسية في مصر. وعلي سبيل المثال فإن من بين وثائق القضية وثيقة بعث بها إسماعيل أيوب باشا رئيس القومسيون إلي المحاميين «برودلي» و«نابير» اللذين توليا مهمة الدفاع عن عرابي ورفاقه. يحيطهما علماً بالإجراءات التي ينبغي عليهما اتباعها.

ويقول نص الوثيقة: جناب المحترمين سير برودلي الأفوكاتو ومسيو نابير الأفوكاتو.. بالجلسة التي انعقدت بالقومسيون أمس بتاريخه تقرر ما يأتي.

أولاً: متي تم التحقيق الابتدائي مع أحد المتهمين وإذا ثبتت صحة التهمة. يتنبه عليه بانتخاب أفوكاتو هذا إن أراد. وله الحرية التامة في انتخاب الأفوكاتو من الأهالي أو الأجانب الذين يكونون مقيمين في مصر في وقت التحقيق ومقبولين لدي الحكومة. ويعد التنبيه علي المتهم بما ذكر بمدة يعينها القومسيون علي حسب درجة جسامة الدعوي. أقلها ثلاثة أيام وأكثرها إثنا عشر يوماً. للاطلاع

علي أوراق التحقيق في محل القومسيون بدون نقلها عنه. يصير الشروع في إجراء القسم الثاني من التحقيق.

ثانياً: الشروع في إجراء القسم الثاني من التحقيق المختص بالأشخاص الذين تم الآن التحقيق الابتدائي المتعلق بهم يكون في خمسة وعشرين نوفمبر ١٨٨٢.

ثالثاً: سماع الشهود وإتمام القسم الثاني من التحقيق فيما يتعلق بالأشخاص المذكورين، يكونان في مدة ثلاثين يوماً من خمسة وعشرين نوفمبر الجاري لغاية خمسة وعشرين ديسمبر المقبل.

رابعاً: رئيس القومسيون يوجه للشهود الذين يصير تقديمهم من طرف المتهم أو من طرف المدعي بالتهمة الأسئلة التي يطلب كل منهما توجيهها إليهم مالم تكن خارجة عن موضوع الدعوي.

خامساً: إذا رأي الأفوكاتو الموكل عن المتهم. أو الطرف المدعي بالتهمة لزوم توجيه سؤال أو أكثر للمتهمين. فيكون ذلك بواسطة رئيس القومسيون. وفي غير هذه الحالة لايجوز للمتهمين المذكورين أن يتكلموا.

سادساً: قبل كل جلسة بيوم علي الأقل يجب إخبار رئيس القومسيون بأسماء الشهود. الذين يرغب الأفوكاتو الموكل عن المتهم أو من طرف المدعي بالتهمة سماع شهادتهم في الجلسة التالية.

سابعاً: الأوراق التي يرغب الأفوكاتو الموكل عن المتهم الاستناد عليها في الدعوي، يلزم تسليمها للقومسيون قبل قفل القسم الثاني من التحقيق. وإن لم تسلم فتعتبر ملغاة ولامفعول لها.

ثامناً: تحرير المحاضر التي تشتمل علي استجواب المتهمين أو شهادة الشهود، يكون بمعرفة كتبة القومسيون. ويوقع عليها الأعضاء، وهي التي تعتبر دون غيرها.

تاسعاً: تنعقد جلسات القومسيون في أثناء مدة التحقيق في كل يوم من الساعة اثنين بعد الظهر لغاية الساعة ستة. ماعدا يوم الجمعة من كل أسبوع.

ويكون انعقاد هذه الجلسات لسماع شهادة الشهود الذين يقدمهم الأفوكاتو الموكل عن المتهم، سواء سبق سماع شهادتهم في أثناء إجراء القسم الأول من التحقيق أو لم يسبق. وإذا رؤي للقومسيون لزوم عقد جلسات غير اعتيادية، قبل الظهر سواء كان لسماع شهادة الشهود، الذين يقدمهم المدعي بالتهمة أو لغير ذلك، فيعين أوقات انعقاد تلك الجلسات قبل انعقادها بيوم بالأقل.

عاشراً: القانون الذي يحكم بمقتضاه علي المتهمين هو الدستور العسكري.

رسالة إلي المحامي

ومن أهم هذه الوثائق رسالة بعثها أحمد عرابي من سجنه إلي محاميه برودلي. يروي له فيها ما حدث له عقب تسليمه سيفه ونفسه للجنرال لو، ثم نقله إلي السجن وما لقيه من إهانة فيه علي يد إبراهيم أغا.

وقد كتب عرابي يقول في هذه الرسالة: صديقي العزيز والمحامي عني مستر برودلي.. أنه بناء علي ما تيقنته من حسن مقاصد دولة انجلترا. سلمت سيفي ونفسي إلي خدمة وشرف الانجليز عن يد الجنرال لو. بالنيابة عن القائد العمومي للجيش الانجليزي الجنرال ولسلي. حالة كوني كان في نفسي حرص عن العساكر المصرية خمسة وثلاثين ألف نفر. وفي باقي الجهات مثلهم وأعلي من ذلك. ومكثت مع معسكر الانجليزية مكرماً عشرين يوماً. من ابتداء ليلة ١٥ سبتمبر لغاية ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٢. وفي يوم ٥ أكتوبر صار سجني في السجن المصري. فحصل لي من الإهانة ما يأباه شرف انجلترا وشرف كل انجليزي. وذلك أنه فضلاً عن تفتيشي من خدامين وخفراء سراي الخديوي. وتردد ذلك التفتيش أربع مرات. حتي قلعوني الجزمة من أقدامي في يوم واحد. وفي ليلة ٩ أكتوبر الساعة ثمانية ونصف. بعد أن نمت فتح علي الباب ودخل عليّ نحو عشرة أو أزيد من الناس. وقال أحدهم «يا عرابي.. أتعرف من أنا». فقلت: لا.. من أنت وماذا تريد مني في هذا الوقت؟ فقال: «أنا إبراهيم أغا الذي كنت داير وراه يا كلب يا خنزير». وتفل عليّ ثلاث مرات. وصار يسبني ويشتمني. حتي تصورت أنه مأمور بقتلي بهذه الليلة. ومكث علي ذلك نحو ثماني دقايق. وخرج من المحل الذي أنا مسجون به. وحيث أن حصول ذلك لا

ترتضيه ذمة وشرف انجلترا. خصوصاً لمثلي الذي سلم نفسه. اعتماداً علي شرف الدولة الانجليزية. فقد حررت هذا بما حصل لي من الإهانة.

.. والتوقيع والختم.. أحمد عرابي

كتب الشيخ محمد عبده

وهناك وثيقة أخري عبارة عن رسالة كتبها عبد العال حلمي أيضاً إلي المحامي برود لي يشكو له فيها من سوء معاملته في السجن. وكيف أنهم استولوا علي مفتاح خزينته. وأن إبراهيم أغا نوبتجي الخديوي توفيق اقتحم عليه زنزانته وأهانه.

وقال له: أنتم وقعتم يا أولاد الكلب.. أنا رايح أوريكم.

كما كتب الشيخ محمد عبده رسالة مماثلة إلي مستر برودلي يقول فيها: أقول أن إبراهيم أغا النوبتجي دخل عندي في يوم الخميس ٢٥ ذي القعدة. وشتمني وكان معه جملة من شاويشية المعية السنية. جاءوا لأجل تفتيش أودتي. وبعد التفتيش بغاية الدقة أخذوا من عندي ثلاثة مجلدات. مجلدين من كتاب العقد الفريد في علم الأدب. والمجلد الأول من تاريخ ما توسط من القرون ترجم من الفرنساوي للعربي بطبع مصر.

ولما سألت حامل المجلدات: إلي أين تأخذ الكتب.. وإذا كان لابد من أخذها فلتوصلوها إلي بيتي.

فقال لي: وهل لك بيت؟

«ومكثت بعد ذلك ثمانية عشر يوماً لايدخل عندي مكتوب ولا مقروء من أي نوع كان. حتي جاء عندي من رجال الدولة الانجليزية من يسأل عن حالي. فطلبت منه الإذن بدخول المصحف فأذن لي به. وأنا بذلك فرح كأني خرجت من الحبس».

وتوقيع الرسالة.. محمد عبده

كما أرسل أحمد عرابي رسالة أخري عاجلة إلي المحامي برودلي يخبره فيها

أن عربات كثيرة تأتي إلي الشارع وتقف عند باب السجن العمومي بعد الظهر. وأنه لاحظ أن قومسيون التحقيق منعقد علي غير العادة فساوره الشك. وطلب في نهاية رسالته من برودلي تحري الأمر حفاظاً علي حياة المسجونين.

وقال أحمد عرابي في رسالته التي كتبها بخط يده: جناب المحامي عني.. المستر برودلي.. زيد فضل.. يا عزيزي في ليلة الأربع الموافق ٤ محرم في الساعة ثلاثة عربي وربع الموافقة الساعة ثمانية وربع أفرنكي بعد الظهر من يوم ١٤ نوفمبر ١٨٨٢ . نظرت عربات كثيرة تأتي في الشارع. وتقف عند باب السجن العمومي ثم يعود بعضها. فظننت أن هذا الأمر غير اعتيادي. وبخروجي إلي محل الراحة علمت أن المجلس منعقد لغاية ذلك الوقت. وحيث أن ذلك غير معتاد. فحصل عندنا فكر زايد. فنرجوكم استكشاف هذا الأمر والوقوف عن أسباب ذلك لحفظ المسجونين.

تشكرات.. الأميرة إنجي

ومن أطرف هذه الوثائق رسالة بعثت بها الأميرة «أنجي» أرملة الخديوي سعيد باشا والتي اشتهرت بفعل الخير. إلي المحامي برودلي تشكره فيها علي ما بذله من جهد لإنقاذ حياة أحمد عرابي.

وقالت الأميرة إنجي في رسالتها: جناب المسيو برودلي.. أهدي لجنابكم واجبات الثناء بكل احترام كما هو لايق بالمقام. بما أن هذا القطر المصري قد شرف بوجودكم ونال السعادة بطلعتكم البهية ونوراتكم المرضية. فحصل عندنا وعند عموم أهالي هذا القطر مزيد المسرورية. من حسن وصداقة مساعي جنابكم الخيرية. التي أوجبت إظهار العدل والإنصاف بأنفاس جنابكم الطاهرة. ولازلنا مؤملين بمشيئة الباري تعالي مرور العدل دايما علي هذا النسق. ثم ولما اشتهرتم به من المساعي الحميدة والفعل المبرور الذي خلد في القلوب السرور. وحملني بالتشكر لجنابكم. وإظهار ممنونين نحوكم. حتي بيضتم تاريخ دولة انجلترا المتصفة بالعدل والكرم وعمل الشرف من القدم. لازالت السعادة محاطة بها. حيث أنها الواسطة في إزالة الكروب. كما أتشكر خصوصاً لجناب المحتشم المسيو

يوم الإسكندرية

لكن من أخطر الوثائق التي ضمتها أوراق القضية رسالة بعث بها أحمد عرابي إلى لورد «شارلس باريسفورد» . يروي فيها قصة ضرب الإسكندرية. وكان المحامي برود لي قد طلب من أحمد عرابي كتابة هذه الرسالة.

ويقول عرابي في رسالته: «إلي صاحب الدولة والإجلال اللورد شارلس باريسفورد.. إني أقدم أعظم التحيات وأزكي التسليمات لفخامتكم. وأتشكر لدولتكم علي ما أظهرتموه نحوي من حسن المساجلة. وانتصاركم للحق في المدافعة عني من غير سابق مقابلة. لكن الأرواح الحرة متعاضدة في خدمة الإنسانية بأعمالها الشريفة. هذا وإني أؤكد لدولتكم أنه لم يكن بين المصريين والأمة الانجليزية أدني عداوة أصلاً تستوجب حصول ما حصل. بل ولغاية الآن لم يعرف أحد من المصريين الأسباب التي ابتني عليها حصول الحرب التي حصلت، حيث أنه لغاية الساعة التي ابتدي فيها بضرب المدافع علي اسكندرية. كانت الأمة المصرية محافظة كل المحافظة علي حقوق الأمة الانجليزية. بل وعلي حقوق جميع إخوانهم الأوربيين. وأظن أن سبب الحرب مجهول أيضاً عند الأمة الانجليزية. فلما حصلت الحرب وكان تقرر بالمجلس المنعقد لذلك تحت رياسة الخديوي ودرويش باشا مندوب السلطات بلزوم المدافعة. فالتزمنا بأمر المدافعة بمقتضي هذا القرار الشرعي.

ويمضي أحمد عرابي قائلاً في رسالته للورد باريسفورد: «وكانت مدافعتنا عن بلادنا بمقتضي الشرع والقانون. لكون الخديوي الحاكم الشرعي وجميع وكلاء الحكومة. ولما كانت الحرب قايمة في اسكندرية. كانت تأتينا رسل الخديوي يحرضوننا علي القتال ويمدحوننا علي الصبر والثبات. مع عدم جودة الأسلحة ورداءة الطوابي. وبعد تدمير الطوابي وتعطيل المدافع. عقد مجلس آخر تحت رياسة الخديوي ودرويش باشا أيضاً. للنظر فيما يصير إجراؤه بعد ذلك. فتقرر فيه أنه إذا حصل الضرب علي الاسكندرية في اليوم الثاني يصير رفع الرايات البيضاء من الطوابي. علامة علي طلب المكالمة وقد حصل ذلك. وإننا كنا مستعدين في كل وقت لطلب الصلح. لكن لما أُرسل طلبة باشا للمكالمة. قيل له أن الأميرال سيمور يطلب تسليم ثلاث طوابي لاتخاذهم معسكراً للجيش الانجليزي. وتقرر بالمجلس أيضاً أن هذا الطلب من حقوق الحضرة السلطانية. وقيل من مندوب الأميرال أنه إذا لايجاب لهذا الطلب فإنه يصير إعادة الضرب بالمدافع وأخذ تلك الطوابي قهراً. وحيث أن موقع اسكندرية لا يناسب لإقامة العسكر فيه ويخشي من اتخاذ خط الرجوع وضبطه من خلفهم بواسطة العساكر الانجليزية. انجبرت العساكر المصرية علي

الرجوع إلي جهة كفر الدوار. لتكون أمنة علي خط الرجعة. ومن هذا يعلم أنه لو خرجت العساكر الانجليزية فى ثاني يوم بعد الظهر لما وجدت ممانعة، وكان أمكنها حفظ البلد من النهب والحريق أيضاً. وهذا البيان بناء علي طلب المستر نابيا عني في المحاكمة. وأرجو دولتكم قبول احتراماتي الفائقة لمعالي فخامتكم.. توقيع أحمد عرابي بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٨٨٢».

موعد المحاكمة

انتهي التحقيق مع أحمد عرابي ورفاقه من زعماء الثورة العرابية.. وتحدد موعد محاكمته يوم ١٦ أكتوبر ١٨٨٢.

وأرسل له قومسيون التحقيق رسالة ليبلغه فيها بان: الدعوي المختصة بكم ستقدم للمحكمة العسكرية في يوم الاثنين ١٦ أكتوبر الساعة ٢ بعد الظهر. فلزم إشعاركم كي تستعدوا للمدافعة عن أنفسكم. وإن رأيتم تعيين من يحامي عنكم فلا بأس في ذلك. بشرط أن تنتخبوه من الأشخاص الأهليين المتعاطين حرفة الأفوكاتية الموضحة أسماؤهم بالكشف طيه. واعلموا أنه سيصرح للأفوكاتو الذي تنتخبونه بالدخول عندكم في السجن والمكالمة معكم. وله أيضاً أن يقف عن الأوراق المتعلقة بقضيتكم. وموجودة بقلم كتبة قومسيون التحقيق. إنما كل هذا لايكون إلا برخصة من رئيس القومسيون.

ومضت الأيام..

وحان موعد المحاكمة التاريخية..

التي للأسف لم تستغرق سوي خمس دقائق. صدر بعدها الحكم. المعد سلفاً بالطبع!

الفصل الأخير

محاكمة زعيم

سر المرأة المجهولة
التى قدمت باقة
إلى عرابى فى المحكمة

وحان موعد المحاكمة المهزلة.. محاكمة الزعيم التي لم تستغرق سوي خمس دقائق فقط أعلنت المحكمة بعدها الحكم المعد من قبل وهو الموت. وحتي تكتمل فصول المحاكمة المهزلة كان لابد أن يعلن الخديو عن رقه قلبه وواسع رحمته بتخفيف حكم الموت إلي النفي إلي الأبد خارج الأرض والملحقات المصرية.

ولن يجد أي مؤرخ دلالة أقوي علي هزلية محاكمة أحمد عرابي من وصف المحاكمة الذي جاء في جريدة الأهرام التي كانت من البداية قد اتخذت موقفا منحازا إلي الخديو توفيق وضد أحمد عرابي والثورة العرابية، وهو موقف جعلها تهبط إلي وصف عرابي ونعته بأقذع الأوصاف والنعوت.

هيئة المحكمة

بتاريخ أول ديسمبر ١٨٨٢ كتب مراسل الأهرام تحت عنوان محاكمة عرابي يقول : اتصل بي أمس أن محاكمة هذا الرجل ستكون يوم الأحد، وكان هذا الخبر غير معلوم الا عند قلة من الناس. فاهتممت بالحصول علي تذكرة الحضور وكان لي ذلك وفي صبيحة هذا النهار ذهبت إلي الدائرة حيث سجن العصاة.

وقابلت بعض الصحب الذين علمت منهم قرب ساعة المحاكمة وانها ستكون علي موضوع العصيان فقط لا علي رفع الراية البيضاء ولا علي القتل ولا علي الحريق خلافا لما كان يتوقعه الرأي العام.

ويصف مراسل الأهرام ما حدث خلال المحاكمة فيقول : عند الساعة التاسعة افرنجية من صباح ذلك النهار. دخلنا قاعه المجلس العسكري وإني اقص لكم تفصيل ما جري بدقة، كم هو عظيم هذا المجلس من الداخل كنمط المجالس المختلطة. وعند الساعة التاسعة والنصف دخل حضرة سعادتلو رءوف باشا الرئيس يتبعه حضرات الأعضاء أصحاب السعادة إبراهيم باشا وخورشيد باشا وعثمان باشا لطيف واحمد باشا حسين وحسين باشا نعيم وسليمان باشا نيازي وجميعهم بالملابس الرسمية والنياشين الفاخرة، فجلست ثلة عن يمين سعادة الرئيس وثلة عن يساره وكان في الجهة اليمين ايضا حضرة السير شارلس ويلسون وبعض الانجليز، وعن الجهة اليسري كتاب اسرار تنصلتو انكلترا الجنرالية، وكان أمام الرئيس حضرة الكاتب

البليغ رفعتلو عبداللطيف أفندي الصيرفي كاتب أول المجلس الحربي وبجانبه المسيو برودلي محامي عرابي الأول ثم رفاقه وحضر في هذا الانتظام الجرائد الأجنبية وسواهم بما لا يزيد عددهم علي الثلاثين.

الحكم بعد الظهر

ولما انتظم المقام أمر حضرة الرئيس بإحضار أحمد عرابي.

فتوجه ضابط وأتي به يخفره عسكريان ببنادقهما كالعادة الجارية مع كل سجين، قد دخل القاعة وهو أصفر اللون وجلس.

فخاطبه سعادة الرئيس قائلا : أحمد باشا عرابي ؟

فانتصب.

فقال الرئيس : تبين مما أوضحه مجلس التحقيق أنك عصيت وحملت السلاح ضد الحضرة الخديوية. فكنت بذلك مضادا البند ٩٦ من القانون الحربي العثماني، والبند ٥٩ من قانون الجنايات العثماني.. فهل تعترف أنت نفسك بالعصيان ؟

فلما انتهي حضرة الرئيس جلس عرابي..

ووقف المسيو برودلي محاميه وقال باللغة الفرنساوية : إن موكلي يعترف بارتكابه العصيان. وانا المحامي عنه اصدق علي ذلك.. وإليكم إعلانا موقعا منه بهذا الشأن. فأخذ كاتب المجلس هذا الإعلان العربي في العبارة وتلاه علي الحضور وملخصه : إنني أعترف بعصياني ضد الحضرة الخديوية وأقر بذلك موافقة لرأي المحامي عني.. توقيع.. أحمد عرابي المصري

وعند ذلك انتصب سعادة الرئيس وقال : إن صدور الحكم سيتم بعد الظهر. وهكذا انفضت الجلسة التي لم تستغرق من الوقت إلا خمس دقائق.

إذا عاد.. يقتل

يقول مراسل الأهرام : تلك هي المحاكمة التي طنطنت الجرائد بأحكامها. وبسطت الكتّاب شروحا عنها واختلفت رأيا في شأن مدة تحديدها إذ قال بعضهم

إنها ستستغرق شهرا وأخر شهرين وأخر شهورا، وسيكون منها كذا وكذا وهلم جرا. فهي لم تستغرق من الزمن الا دقائق خمسا لا غير.

وبعد انفضاض المجلس تقدم بعض كتاب الجرائد الانكليزية وسلموا علي عرابي وانصرف كل إلي مكانه. ولما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر رجعنا إلي محل المجلس، ووفد العالم حتي بلغ عددهم نحو المائتين بينهم قليل جدا من المواطنين. وحضر في هذه الحفلة دولتلو نوبار باشا والجنرال اليزون.

ثم أقبل المجلس العسكري بالأثواب الرسمية كالعادة فانتصب الحاضرون ثم استوي كل في مقامه. وأمر سعادة الرئيس بإحضار أحمد عرابي فأحضر علي نحو ما أحضر. فخاطبه سعادة الرئيس بما يلي : بناء علي اعترافك بالعصيان، وإقرارك بحملك السلاح ضد الحضرة الخديوية لم يكن للمجلس إلا أن يصدر الحكم عليك، ولقد أصدره باتفاق الآراء عملا ببندي ٩٦ و ٥٩ من القانون العثماني، اللذين يقضيان علي من أتي العصيان بالاعدام فالمجلس قضي بقتلك.

ثم أردف حضرة الرئيس وقال : وإننا لما رفعنا هذا الحكم إلي الحضرة الخديوية التي هي منبع الجودة والرحمة، رأت أن تستبدل القصاص بقصاص أخر وقد أصدرت امرها الكريم بهذا الشأن. ثم سلم صورة هذا الأمر إلي رفعتلو عبد اللطيف أفندي فتلاه جهرة وهو : نحن خديوي مصر.. بناء علي ما لنا من حقوق العفو المختص بنا فقط، وبناء علي أن المجلس العسكري أصدر اليوم حكمه بقتل أحمد عرابي عقابا لعصيانه اقتضت رحمتنا أن نستبدل هذا القصاص بما يلي :

البند الأولي : ينفي أحمد عرابي من جميع أرض مصر وملحقات الحكومه المصرية.

البند الثاني : وإذا رجع أحمد عرابي إلي أرض مصر فلا يعامل بالعفو بل يقتل.

البند الثالث : علي رئيس نظارنا ونظارنا كل بما خصه تنفيذ أمرنا هذا.. التوقيع: محمد توفيق.

ومصادرة أملاكهم

ويصف مراسل الأهرام ختام المحاكمة الهزلية قائلا : وعند تلاوة الأمر السامي..

قال سعادة الرئيس : انفضت الجلسة.

فأعيد عرابي إلي محبسه وكان ثمة سيدة لم أعلم من هي قدمت للمنفي ضمة زهور فليحكم القراء علي مثل هذا السلوك. أما الجلسة فلم تستغرق إلا عشر دقائق.

وقد انصرف الحضور والذهول مستول والأفكار مختلفة والآراء متباينة. وإننا لنترك الخوض في هذه المحاكمة وفي الأعمال التي جرت من البداية إلي النهاية إلي فرصة أخري مكتفين الآن بأن نخاطب مستر بلونت بقولنا : طب نفسا وقر عينا فلا حاجة لاكتتاب يصرف خدمة في الدفاع عن خليلك. فقد انقضي الأمر علي ما تتمني وتروم. وإننا لننتظر ما ستبسطه جرائد أوروبا في هذه المسألة المهمة وما ستفصله وتخيطه.

وفي نفس العدد نشرت الأهرام تحت عنوان تلغراف خصوصي لجريدة الأهرام : تقول: مصر في ٢ ديسمبر سنة ٨٢ الساعة ٢ والدقيقة ٢٨ بعد الظهر.. حوكم عرابي صباح اليوم بجريرة العصيان. فاعترف أنه حمل السلاح ضد سمو الخديوي. وفي هذه الدقيقة قضي عليه المجلس العسكري بالقتل طبقا للبند ٩٦ و ٥٩ من القانونين العسكري والجنائى العثماني، أما سمو الخديوي فاستبدل عقاب القتل بالنفي المؤبد إلي خارج الارض المصرية علي أنه إذا عاد إليها يشنق دون محاكمة، وكان الناس الذين حضروا الجلسة قبل الظهر قليلين وبعده كثيرين. ثم نشرت الاهرام تحت عنوان قرار اصدره سعادة ناظر الداخلية تقول : بناء علي الأمر الصادر في ٢ صفر سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ١٤ ديسمبر سنه ١٨٨٢ بأن أملاك أحمد عرابي وطلبة عصمت وعبد العال حلمي ومحمود سامي وعلي فهمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي صارت ملكا للحكومه قد قررنا ما هو آت:

أولا – قد ترتب قومسيون مخصوص يكون مركزه ضبطية مصر. وهذا القومسيون مكلف بحصر أملاك المذكورين، وإجراء تنفيذ مفعول الأمر العالى المشار إليه. لحد إعمال التصفية عن قيمة ما يصير بيعه.

ثانيا – المكاتبات والأوراق التي تتقدم عما يتعلق بحصر أملاك المذكورين وحقوقهم ترد إلي نظارة الداخلية وهي تجري توصيلها إلي القومسيون المذكور، الذي يخابر الداخلية عن جميع إجراءاته.

من تكون

وعودة إلي وصف الأهرام لجلسة المحاكمة، لابد أن تنتهي بسؤال : من تكون تلك المرأة المجهولة التي تقدمت بكل شجاعة نحو أحمد عرابي في هذا الموقف المهيب وهو يستمع داخل قاعة المحكمة إلي الحكم بإعدامه ثم نفيه إلي خارج مصر. لتقدم له وسط ذهول الجميع.. باقة من الزهور..؟

من تكون هذه المرأة الشجاعة ؟

أتكون هي نفسها الأميرة (إنجي) أو انجه كما كان يطلق عليها. وهي احدي اميرات الأسرة الخديوية من اللائي تعاطفن مع أحمد عرابي والثورة العرابية؟

الإجابة عن السؤال لابد أن تمر عبر سؤال أخر هو : ماذا كان دور المرأة المصرية في الثورة العرابية؟

علي لسان المستر برودلي محامي أحمد عرابي والذي ألف كتابا عنوانه كيف دافعت عن عرابي .. تضمن فصلا كاملا عن دور المرأة المصرية في ثورة عرابي، كتب محمد عودة تلخيصا لبعض ما في هذا الفصل.

ويقول المحامي برودلي فيه : ليس في الشرق بلد يبدو فيه نفوذ المرأة واضحا كما يبدو في مصر، ولقد وجد عرابي منذ اللحظة الأولي بين سيدات مصر تأييدا للقضية الوطنية ومبادئه، وقد ظللن ثابتات علي حماسهن وتأييدهن حتي اللحظة الأخيرة، أي حينما انطفأ الخيط الأخير من الأمل. وقد جرف الحماس أميرات الأسرة المالكة الخديوية فيما عدا أم توفيق وزوجته، وكن لا يخفين تأييدهن القوي للثورة العرابية.

دور المرأة المصرية

ويضيف المحامي برودلي : وحدث في اليوم التالي لضرب الإسكندرية أن هبت فتيات مصر، وبنات الأسر الكبيرة لجمع التبرعات وبذلها، وجمعن تبرعات كبيرة وألفن فرقة لتحضير الضمادات ولوازم الجرحي لإرسالها للأطباء الذين كانوا يعملون في الخطوط الأمامية في معركة كفر الدوار.

وقد كان تأييد النساء المحجبات في الحريم هو الضربة القاضية علي حجج الذين

كانوا ينكرون علي حركة عرابي أنها ثورة شعبية شاملة، وحدث بعد ما انتهت محاكمة عرابي ببضعة ايام وكنت قد بقيت في القاهرة في فندق شبرد، أن جاءني ذات يوم رسول خاص في زيارة غامضة وقال لي إن معه رسالة من سيدة كبيرة المقام، وسلمني الرسالة ومعها مجموعة من الهدايا الثمينة الفاخرة لي وللمستر نابيير مساعدي في الدفاع.

وكان نص الخطاب إلي المستر برودلي المحامي.. بعد تحياتي واحترامي وشكري لشخصك الشريف. فإني أنتهز هذه الفرصة لاعبر لك عن امتنان نساء وشعب مصر كله ونحن والمصريون جميعا نشعر بالفرح وعرفان الجميل لما أديته من خدمات ولانك دافعت عن قضيةالعدالة والإنسانية، ونحن المصريات والمصريين سنصلي وندعو الله ان يحقق لك السعادة والتوفيق. كما ندعو الله أن يلطف بهذا البلد.

.. إنك بدفاعك عن أبناء هذا البلد الذين ثاروا من أجله والذين لا يريدون له سوي الخير قد جعلتنا نعز انجلترا ونري فيها أحرارا يساعدوننا في محنتنا، وإننا لنشكر المستر بلنت شكرا عميقا علي جميله نحونا، وإن أنباء ما فعله لتثلج صدر المصريات والمصريين جميعا. ولهذا فمهما فعلنا لن نستطيع أن نعبر لك عن شكرنا.. التاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٨٢ .. وكان التوقيع.. إنجه

يقول : بلنت : وهذا كل ما عرفته عنها !

رأيناه.. منقذ مصر

ويكمل قائلا : وبعد بضعة أيام تلقيت زيارة مماثلة، لكنها هذه المرة كانت من فتاة جميلة متحمسة، جاءت وقالت لي إنها تريد أن تشرح حقيقة مشاعر نساء مصر نحو الاحداث الاخيرة.

كانت تتدفق حماسة وهي تقول لي : لقد كانت كل فتاة وسيدة في مصر تعطف سرا، ومن أول لحظة علي عرابي، لأننا أدركنا أنه لا يريد سوي خير مصر. ولقد اعتقدنا حينا أن توفيق نفسه يؤيد عرابي، ولهذا أحببناه ولكن حينما وجدنا أنه يكيد له ويخون مصر كرهناه وكرهناه بشدة، ومن يومها حاول توفيق أن

يستميل عطف سيدات وبنات الأسر عن طريق أمه وزوجته بلا جدوي، بل وكرهته الاميرات وذهبت إحدي الأميرات الكبيرات إليه وقالت له في مواجهته رأيها بصراحة فيه وفي تصرفاته السياسية، وبعدها بقليل رحل توفيق إلي الإسكندرية وسمعنا بعدئذ أنه انحاز نهائيا للانجليز، وبدأت الاجتماعات النسائيه في الحريم، وصممت كل المجتمعات علي عدم الاعتراف إلا بعرابي كزعيم شعبي يدافع عن البلاد، لقد كنا جميعا نري في عرابي زعيما شعبيا سيتم علي يديه الخلاص، وكان حماسنا له لا يعرف حدودا، وكنا جميعا نكتب له خطابات إعجاب ونبعث له بتلغرافات تهنئة وتشجيع بأسماء مستعارة ولقد كتبت له إحدانا خطابا حماسيا «إلي منقذ مصر» تعرض عليه الزواج لتقف إلي جانبه وتؤيده. ورد عليها عرابي شاكرا وطلب منها أن تؤدي واجبها الوطني في مكانه.

ولقد ساهمت كل سيدة وفتاة في نفقات الحرب حسب مواردها، وكنا نجمع التبرعات بانتظام، ونشتغل طوال اليوم بجد في إعداد ما يلزم الجنود من أدوية وأغطية وضمادات، حتي كان ذات يوم إذ جاء عرابي إلي القاهرة، وسرت شائعة قوية بأنه قد جاء معه برأس الجنرال ويلسلي والأميرال سيمور، وطغي علينا الفرح، ولكن ما لبثنا أن عرفنا الحقيقة المرة، وأن عرابي قد مني بهزيمة ساحقة. واستولي علينا ذهول وحزن أليم، واستغرقنا في بكاء مستمر حتي بلغت حالتنا مبلغ اليأس الأليم.

الخديو.. وأمه

وتستمر الفتاة المصرية المجهولة تروي قائلة: وحينما عاد توفيق منتصرا مزهوا إلي القاهرة توقعنا أن يصب العذاب والغضب علي نصيرات عرابي، وبالفعل ما ان وصل حتي أرسل إلي الفتاة التي كانت قد أرسلت خطابا إلي عرابي، وأعلن أنه سيذيقها العذاب المر لولا أن تدخلت أمها وأعلنت بجرأة أنها هي التي كتبت الخطاب، ووقعت عليه باسم ابنتها وحينما خرجت الأم وابنتها من عند توفيق التقتا الأغا الذي أبلغ الخديوي توفيق بقصة الخطاب ووشي بها إليه، فأمسكت الأم بكرسي وضربته علي رأسه وانهالت عليه ضربا وأخذت تجري وراءه في أرجاء السراي، والدم ينزف منه تريد أن تفتك به نهائيا.

وأمر توفيق بجمعنا كلنا بعدما دله جواسيسه علينا، وكان أكثرنا يرتجف من الخوف. وذهبنا وكان توفيق يجلس وإلي جواره أمه وما أن اكتمل عددنا حتي انهالت علينا أمه بأقذر وأقذع السباب وأعلنت لنا في تشف أن بطلنا عرابي سيسلمه الإنجليز إلي الخديو لكي يعدم ببطء علي الخازوق، وقرأت علينا قائمة بأسماء زعيمات حركتنا، وقالت أنه قد تقرر إعدامهن وسري فينا الرعب وظللنا خائفات بضعة أيام، حتي تحققنا من أنه لا توفيق ولا أمه يستطيعان أن يحركا إصبعا بغير موافقة الإنجليز أسيادهما وحينما عرف أن حياة عرابي لن تمس وأنه سينفي فقط لبست أم توفيق الحداد. وسري الوجوم والحزن في السراي وأخذنا نحن بدورنا نتشفي فيهم.

يقول المحامي برودلي : إن الفتاة الجميلة المتحمسة اختتمت حديثها معي قائلة : أحب ان اقرر لك كي تعلن للعالم كله أنه ما دام توفيق يحكم مصر فلن يكون هناك سلام لا لكم ولا لنا ولا لمصر كلها.

ويقول برودلي : ولقد قابلت توفيق بعدئذ وفي حديث طويل قال لي أنه كان يستطيع أن يعيش في سعادة وفي سلام لولا شيئان هما أشد ما في مصر خطرا عليه وهما أقلام الصحفيين وألسنة النساء.

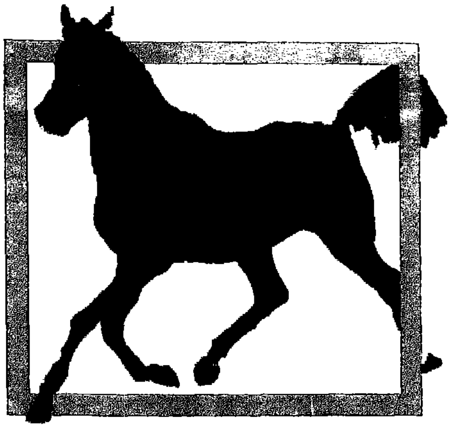
ثلاثون جنيها فقط

وبعد : كعادتها أنهت جريدة الأهرام الحديث عن محاكمة عرابي بخبر كله حقد وتشف تقول فيه علي لسان مراسلها : أفيدكم أنه تعين يوم تسفير رؤساء العصابة وهو يوم ٢٥ الشهر الجاري واما عددهم مع الذين سيسافرون معهم من عائلاتهم فلا يتجاوز الخمسين نفسا. وقد قبلت امرأة العرابي أن تصحب بعلها، اما امرأة البارودي فلا تزال رافضة ذلك. وهي مصممة علي هذا الرفض حتي بعد سفر المستعمرين العصاة، وبلغني ان أحمد عبد الغفار اقتنع بأن يسافر مع اخوته السبعة، اما الزوابي فلا يزال رافضا، وقيل إن عمر رحمي بك سينفي إلي محل من أنحاء مصر وليس للسودان.. وقد تقرر لكل من السبعة المنفيين ثلاثون جنيها.

انتهي

المحتويات

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨



محاكمة زعيم

القصة الكاملة لمحاكمة الزعيم أحمد عرابى

ربما لم يشهد تاريخ القضاء المصرى مثل قضية محاكمة أحمد عرابى زعيم الثورة العرابية ، هذا الضابط الفلاح االذى جاء من أعماق الريف المصرى ورغم أنه تبوأ أكبر المناصب العسكرية حتى أصبح ناظراً للجهادية إلا أن المنصب الكبير والرتب والنياشين لم تمنعه من أن يعلن الثورة على الخديوى من أجل كل المصريين . وأن يتصدى بكل جسارة وشجاعة لأساطيل وجيوش المحتل البريطانى .

أن وقائع محاكمة عرابى وأسرار القضية التى لم تذع من قبل . هى أشرف وسام للمواطن المصرى .

ومن ناحية أخرى فإن تفاصيل القضية ومحضر استجواب أحمد عرابى ، وحكم اعدامه الذى استبدل بالنفى إلى الأبد ، ستظل بكل ما فيها من أسرار وتناقصات شاهدا على تاريخ مصر العظيمة وشجاعة رجالاتها الأوفياء .

مكتبة مدبولى الصغير

٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت : ٣٤٧٧٤١٠
ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٢٥